الرسالة الواعية

لمذهب أهل السنة في الاعتقادات

وأصول الديانات

الرسالة الواعية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات

تصنيف: الإمام المقرئ أبي عمرو الداني رحمه الله

الطبعة الالكترونية الأولى: 1436هـ 2015م

قال رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وسلّم:

«يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدولُه،

ينفون عنه تحريف الغالين،

وانتحال المبطلين،

وتأويل الجاهلين»

منشورات الأصلين

البريد الإلكتروني: aslein.net@gmail.com

موقع الانترنت: www.aslein.net

الرِّسَالَة الوَاعِيَة لمَذْهبِ أهل السُّنّة

في الاعتقادات وأصول الديانات

تَصنيفُ

الإمام المقرئ الشيخ الصالح الورع الزاهد

عثمان بن سعيد بن عثمان الداني الأموي القرطبي المقرئ

المعروف بأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى

371 – 444 هـ

كتب مقدمته

الشيخ العلامة سيدي محمد العمراوي

مدير معهد الإمام مالك للتعليم العتيق

سيدي سليمان/ المغرب الأقصى

اعتنى بخدمته

جلال الجهاني

مقدمة العلامة سيدي محمد العمراوي حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد:

فمنذ نزل القرآن الكريم على قلب سيِّدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلماء هذه الأمة عاكفون على خدمته، مجدون في بيان حقائقه، مجتهدون في اكتناه أسراره، باذلون قصارى جهدهم في اكتشاف معانيه، وتوضيح مبانيه.

فكتبوا فيما يتعلق برسمه في المصاحف وخطِّه، وألفوا فيما يخص طريقة النطق بكلماته وتحرير تلاوته، وشرحوا ما فيه من الأحكام، وأظهروا ما يتضمنه من الحِكَم والأسرار، ووقفوا عند محكمه متذكرين، ونظروا في متشابهه متمعنين متأملين، وقعّدوا لفهم محكمه قواعدَ، وأصَّلُوا للتعامل مع متشابهه أصولاً، وعقدوا لذلك معاقد، فألَّفوا في أحكام القرآن كما فعل ابنُ العربي والقرطبي وابن الفَـرَس- وقبلهم القاضي إسماعيل بن إسحاق، وكتبوا في متشابهه سيرًا على نهج الاقتصاد، واتباعًا لسبيل الاعتدال، واستعمالاً لمحجة اللغة، وإعمالاً لحجة العقول النيرة، فهُدوا إلى الصراط المستقيم، وحُفظوا من زيغ أهل الأهواء والمبطلين، فكانوا كما قال الله جل جلاله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾.

وإنَّ ممن وُفِّقُوا لخدمة القرآن الكريم في مناحٍ متعددة، وسعدوا بمرافقة آيات الذكر الحكيم أيامًا وليالي عديدة، المقرئ الإمام، والمحدث الهمام، والمتكلم النظار، والفقيه العَلَم، سيدي أبا عمرو عثمان بن سعيد الداني، رحمه الله وأغدق عليه سحائب الرضوان، المولود عام 371هـ والمتوفى عام 444هـ بالأندلس.

فلقد كانت حياته حافلة بخدمة القرآن الكريم- حفظًا وإتقانًا، وإقراءًا وتأليفًا، ورواية وتدقيقًا، حتى اعتبر -بحقٍّ- رائد المدرسة القرآنية بعد القرن الخامس الهجري وإلى يوم الناس هذا، فكلُّ من كتب في علوم القرآن سواءً ما تعلَّق منها بالنظر والاستدلال، وما تعلَّق منها بالرواية والأداء، إلا وهو معتمدٌ على ما تركه أبو عمرو من المؤلفات، ودونه من الأمهات، ولخَّصه من المختصرات، ودونك مكتبة علوم القرآن لترى صدق هذه الدعوى وسلامتها من المعارضات، ولم يكتف سيدي أبو عمرو بما كتبه في علوم القرآن الكريم خصوصًا، وإنما كتب في أهم قضايا القرآن الكريم وهي قضية الاعتقاد، باعتبارها أصل الأصول، وأم القواعد، فألف كتبًا في أصول الدين حازت السبق من جهات:

أولاها: من جهة الوجازة في الألفاظ، وذلك ديدن العلماء الراسخين والفحول المتمكنين، ولقد صدق ابن البناء المراكشي حينما قال يصف الحال:

قصدت إلى الوجازة في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار
ولم أحذر فهومًا دون فهمي ولكن خفتُ إزراء الكبار
فشأنُ فحولة العلماء شأني وشأن البسط تعليم الصغار

ثانيتها: من جهة دقَّـة العبارة، ووضوح الإشارة، وذلك شأن أسلوب أئمة السلف وطريقتهم في الكلام، قال الإمام الشاطبي رحمه الله – وهو يتحدث عن طرائق تحصيل العلم-:

(الطريق الثاني: مطالعة كتب المصنفين، ومدوني الدواوين، وهو أيضًا نافع في بابه بشرطين: الأول: أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب، ومعرفة اصطلاحات أهله ما يتم له به النظر في الكتب، وذلك يحصل بالطريق الأول من مشافهة العلماء أو مما هو راجع إليه، وهو معنى قول من قال: (كان العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، ومفاتحه بأيدي الرجال)، والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئًا دون فتحِ العلماء، وهو مشاهدٌ معتادٌ، والشرط الآخر: أن يتحرّى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد؛ فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين، وأصل ذلك التجربة، والخبر).

ثالثتها: من جهة الوفاء بالغرض، وإتمام القصد، وحسن التفهيم، فالأمر كما قيل: اختصارٌ غيرُ مخلٍّ وإطنابٌ غيرُ مـمل .

ومن كتب أبي عمرو في هذا الباب، [**الرسالة الواعية**] فهذا الكتاب على وجازته جمع أهم عقائد أهل السنة، وضمَّ بين ثناياه رؤوس مسائل التوحيد، على طريقة السواد الأعظم من الأئمة، وقد جمع في ذلك بين حجج المنقول وبراهين المعقول، على ما رسمه شيخنا أبو الحسن الأشعري، وجماعة أعيان مذهبه، كأبي بكر الباقلاني، ومن سار على نهجه، وترسم في شرح السنة طريقته واتبع أثره.

وسيدي أبو عمر الداني أحد أئمة المدرسة السنية الأشعرية المتقدمين، وروادها المبرزين، يدل على ذلك جملة أمور:

أولها: أنه مالكيٌّ ملتزم، وفي ذلك يقول رحمه الله في **المنبهة**:

فاتبعن جماعة المدينة	فالعلم عن نبيهم يروونه
وهم فحجة على سواهم	في النقل والقول وفي فتواهم
واعتمدن على الإمام مالك	إذ قد حوى على جميع ذلك
في الفقه والفتيا إليه المنتهــى	وصحة النقل وعلـم من مضى

والمالكية عن بَكرة أبيهم أشعريةٌ كما نقل ذلك عنهم جمع من الأئمة والواقع المشاهد يؤيده، قال الإمام الشيخ تاج الدين السبكي: (هؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة –ولله تعالى الحمد– في العقائد يدٌ واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، **وبرّأ الله المالكية فلم نر مالكيًّا إلا أشعريًّا عقيدة**).

ثانيها: تصريحه بالانتساب إلى أئمة المذهب المؤسسين وشيوخه المبرزين فقد قال في الكتاب الذي نقدِّم له: (قال شيخنا أبو بكر بن الطيب: قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: من قال لفظي بالقرآن، فهو ضال مبتدع، وقائل بما لم يقل به أحد من سلف الأمة)، والمراد بأبي بكر بن الطيب شيخ المذهب القاضي الباقلاني رحمه الله.

ثالثها: اتباعه الواضح والتزامه الصريح في كتابه هذا بالمنهج الأشعري في المبادئ والغايات والأصول والتتمات، فقد قال رحمه الله: (اعلموا أيدكم الله بتوفيقه وأمدكم بعونه وتسديده– أن من قول أهل السنة والجماعة من المسلمين المتقدمين، والمتأخرين، **من أصحاب الحديث، والفقهاء والمتكلمين:** أن أول ما افترضه الله تعالى على جميع العباد إذا بلغوا حد التكليف النظر في آياته، والاعتبار بمقدرواته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته).

وقال رحمه الله: (فإن قال قائل: فما الإيمان عند **المتكلمين من أصحابكم**؟ قلتُ: التصديق. فإن قال: وما الطاعات عندهم؟ قلنا: شرائع الإيمان....) إلى آخر كلامه.

وليس لأبي عمرو أصحابٌ من المتكلمين إلا أهل السنة الأشعرية، لأنهم والمعتزلة المتكلمون على الحقيقة، وقد عَلِمَ كلُّ ذي لب أنَّ أبا عمرو لم يكن من أهل الاعتزال، فلم يبق إلا أن يكون من أهل السنة الأشعرية، ولا ثالث لهذين .

وقال: (ومن قولهم: إن من تمام السنة وكمالها: قبول خبر الواحد والاستمساك به، والعمل بموجبه..) وتأمل قوله: (والعمل به) تدرك أنه يقول بما يقول به أئمة أهل السنة من قبول خبر الواحد في العمليات لا في الاعتقاديات.

وقال رحمه الله: (ومن الواجب على السلاطين وعلى العلماء: إنكار البدع والضلالات وإظهار الحجج وبيان الدلائل من الكتاب والسنة وحجة العقل)، ولا يجمع بين المنقول والمعقول إلا أهل السنة من الأشعرية. إلى غير ذلك من الشواهد والأمثلة.

ولقد وفق محل تقديرنا وأهل وُدنا وثقتنا أخونا الأستاذ الأجل، والناقد الأعدل، جلال الدين الجهاني في نَـشر هذا السفر الجليل- كما وفق في غيرها من الأعمال العلمية النافعة- بارك الله في جهوده، وزاده بسطة في العلم والفهم.

ذلك أن هذا الكتاب من الأهمية بمكان في توضيح جملة من عقائد الإسلام الأساسية بأسلوب سهل وعبارة جزلة، وألفاظ سلسة عذبة، فهو من قبيل ما صَغُر حجمه، وكثر علمه.

ولأن بعض الأغرار من المنتسبين إلى السنة لا يميزون بين صحيح المسائل وسقيمها، ولا يفرقون بين أصول العقائد وفروعها، يعمدون إلى كتب علماء السنة فيعملون على تحريفها، ويُقَوِّلون

هؤلاء العلماء ما لم يقولوا، كما فعل أحدهم بكتاب **(الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد)** للعلامة ابن العطار – رحمه الله تعالى– حيث قال: إن مؤلفه على منهاج السلف، ثم صار يتعقبه في كل جملة، بل –ربما– في كل كلمة بكلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية، فأصاب في الأولى حين قال إنه ألفه على منهاج السلف، وأخطأ في الثانية حيث صار يحاكمه إلى آراء بعض من شذ من علماء الخلف.

لذلك وغيره كان لابدَّ من نشر هذه الكتب محررة مصححة، بعيدة عن تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وذلك ما فعله الأستاذ جلال الدين بن علي الجهاني وفقه الله وأعانه.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وكتبه راجي عفو ربه وغفرانه محمد العمراوي يوم الاثنين 13 ربيع الأنوار عام 1436هـ بمعهد الإمام مالك للتعليم العتيق بسيدي سليمان من مدن المغرب الأقصى.

*****

عملـي في الكتاب

بعد ثبوت نسبة الكتاب لمؤلفه، مسندًا مقروءًا، على ما بينه الأستاذ د. عبد الهادي حميتو في كتابه: (معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني)، قمتُ بالاعتناء بهذه الرسالة بناءًا على طبعة دار البصيرة، التي نشرها حلمي الرشيدي، إذ لم يتسن لي الحصول على مخطوطة الكتاب.

وقد حذفت مقدمته التي حرَّف فيها معتقد الإمام الداني إلى مذهبه المائل إلى التشبيه والتجسيم، وكذلك حذفت كلَّ تعليقاته، التي ملأها بالاعتراض على الإمام مستعينًا بكلام ابن تيمية وبعض المعاصرين، مما لا يضارون هذا الإمام ولا يقاربونه، رحمه الله تعالى.

وقد طبع الكتاب تحت اسم (الرسالة الوافية) ولكن الأستاذ د. عبد الهادي حميتو قد حقَّـقَ اسم هذه الرسالة في كتابه: (معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني)، ص53، ورجح بناءا على المصادر التي ذكر فيها الكتاب وأسانيده، بأنها (الواعية) لا (الوافية).

ولقد اقتصرتُ على المحافظة على نصِّ الإمام المؤلف، دون زيادات أو تعليقات. ولعل الله تعالى ييسر في قابل الأيام شرحه مع بيان دقائق الإشارات الكامنة فيه، ودفع بعض ما قد يشتبه على من لم يتقن مسائل هذا العلم، والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل.

وكتب: جلال الجهاني، بمدينة لايدن بالمملكة الهولندية، 19 ربيع الأول 1436هـ. (الموافق للعاشر من يناير 2015م).

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

الحمدُ لله السابق لكلِّ شيءٍ أحدَثَـه، والمتقدِّمُ على كلِّ شيء اخترعه، ذي الصفات العلى، والأسماء الحسنى، لا رادَّ لأمره، ولا معقِّبَ لحكمه. أحمده بجميع محامده، على تواتر نعمه وآلائه، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء، وسيد الأصفياء، وعلى آله الطيبين، وأصحابه المنتخبين وشرف وكرم.

أما بعد: أحسنَ الله إرشادَكم؛ فإنَّـكم سألتموني أن أقتضب لكم جملةً كافية وأصولًا جامعة في الاعتقادات وأصول الديانات، التي يلزم اعتقادُها جميعَ المسلمين، ولا يسع جهلُها كلَّ المكلفين، من العلماء والمقلدين، من الذكور والإناث، والأحرار والعبيد، ممن جرى عليه القلم، وبلغ حدَّ التكليفِ بالحُلُم، فأجبتكم عن سؤالكم، بما فيه البلوغُ إلى مرادكم، بما هو لازمٌ لكم، ومفترض عليكم، وما إذا تدينتم واعتقدتـموه صِرتم إلى اعتقاد الحق، وسَلِمتُم من البدع والباطل، وسلكتم طريق من مضى من السلف، وسنن من تبعهم من الخلف، وبالله عز وجل أستعين على بلوغ الأمل، وإياه أسأل التوفيق للصواب من القول والعمل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

*****

15

[أوَّلُ الفرائضِ النَّظرُ]

فصلٌ: اعلموا -أيدكم الله بتوفيقه، وأمدكم بعونه وتسديده-، أنَّ من قول أهل السُّنَّة والجماعة من المسلمين المتقدمين، والمتأخرين، من أصحاب الحديث، والفقهاء والمتكلمين:

أنَّ أولَّ ما افترضه الله تعالى على جميع العباد إذا بلغوا حدَّ التكليف النَّظرُ في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته؛ إذ كان تعالى غير معلومٍ باضطرار، ولا مُشَاهَدٍ بالحواس، وإنما يُعلَمُ وجودُه وكونُه على ما تقتضيه أفعالُه بالأدلة الظاهرة، والبراهين الباهرة.

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ﴾، وقال عزَّ من قائل: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤ ﴾. وقال تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾، وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ ﴾ الآية[1]، وقال: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾، في نظائر

1- جرتْ عادة المصنِّفين بذكر جزء من الآية القرآنية محل الشاهد، وكتابة كلمة (الآية) بعدها، على معنى أكمل الآية، أو اقرأ الآية. وقد قمتُ في كثيرٍ من المواضع بتكملة الآيات الكريمات. جلال.

لذلك من الآي الدالة على وجوب النظر والاستدلال، ثم الإيمان به، والإقرار بملائكته ورسله، وجميع ما جاء من عنده، والتصديق بذلك بالقلب والإقرار باللسان.

*****

[معنى الإيمان بالله تعالى، وتوحيده]

والإيمان بالله تعالى هو: التصديق بالقلب بأنَّـه اللهُ الواحد الفرد القديم الخالق العليم، الذي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

والدليلُ على أن الإيمان هو الإقرار والتصديق: قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ يريد بمصدق لنا، وكذلك قوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ۚ﴾ أي تصدقوا. وكذا قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ أي: مصدقين.

18

والإيمانُ بالله تعالى: يتضَمَّنُ التوحيدَ له سبحانه، والوصفَ له بصفاته، ونفيَ النقائص عنه الدالة على حُدُوثِ مَنْ جازت عليه.

والتوحيدُ له: هو الإقرار بأنه ثابتٌ موجودٌ، وواحدٌ معبودٌ، على ما ورد به قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾.

*****

[صفات الله تعالى وأسماؤه الحسنى]

وأنَّـه الأول قبل جميع المحدثات، الباقي بعد فناء المخلوقات، على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾، والعالم هو الذي لا يخفى عليه شيء، والقادر على اختراع كل مصنوع، وإبداع كل جنس مفعول على ما أخبر به في قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾، وأنه الحي الذي لا يموت، والدائم الذي لا يزول، إله كل مخلوق ومبدعه، ومنشئه ومخترعه.

وأنه لم يزل مسمِّـيًّا لنفسه بأسمائه، وواصفًا لها بصفاته، قبل إيجاد خلقه.

وأنه قديمٌ بأسمائه وصفات ذاته التي منها:

- الحياةُ التي بانَ بها من الأموات والموات.
- والقدرةُ التي أبدع بها الأجناس والذوات.
- والعِلمُ الذي أحكم به جميع المصنوعات، وأحاط بجميع المعلومات.
- والإرادةُ التي صَرَّفَ بها جميعَ أصناف المخلوقات.
- والسمعُ والبصرُ اللذان أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات.
- والكلامُ الذي باينَ فيه أهلَ السُّكوت والخَرس وذوي الآفات.
- والبقاءُ الذي سَبق به المكوَّنـات، وباينَ معه جميع الفانيات.

كما أخبر تعالى فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ الآية.

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾، وقال عزَّ وجل: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾، وقال: ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾، وقال: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ ﴾، وقال: ﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ﴾، وقال: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ ﴾، وقال: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ ﴾، وقال: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾، وقال: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾، وقال: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾، و: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾، و: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

وقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾، وقال: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾، وقال: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ ﴾، وقال: ﴿ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾، وقال: ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ﴾، وقال: ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾، وقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾، وقال: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾ في أشباه لهذه الآي.

فنصَّ سبحانه على إثبات أسمائه وصفات ذاته، فأخبر جل ثناؤه أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضِيات، وهلاك جميع المخلوقات، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾ وقال: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

واليدين: على ما وَرَدَ من إثباتها في قوله تعالى مخبرًا عن نفسه في كتابه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ الآية، وقال عز وجل: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾، وليستا بجارحتين، ولا ذواتي صُورةٍ. وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ

مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾، وتواترت بإثبات ذلك من صفاته عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: **(كلتا يديه يمين)**: يعني صلى الله عليه وسلم أنه لا يتعذر عليه بأحديهما ما يتأتى بالأخرى.

والأعين: كما أفصح القرآن بإثباتها من صفاته فقال عز وجل: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾، وقال: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾، وقال: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾، وقال: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ ﴾، **وليست عينُه بحاسّة من الحَواسِّ، ولا تشبه الجوارح والأجناس** إذ: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾. وقال صلى الله عليه وسلم حين ذكر الدجال (وإنه أعور) وقال: (وإن ربكم ليس بأعور) فأثبت له العينين.

*****

[في ذكر الإرادة والمشيئة والمحبة والبغض والرضا والسخط والرحمة]

فصل: ومن قولهم: إن الله تعالى لم يزل مريدًا، وشائيًا، ومحبًا، ومبغضًا، وراضيًا، وساخطًا، ومواليًا، ومعاديًا، ورحيمًا، ورحمانًا، وأن جميع هذه الصفات راجعة إلى إرادته في عباده، ومشيئته في خلقه، لا إلى غضبٍ يغيِّـرُه، ورضًا يسكن طبعًا له، وحَنق وغيظٍ يلحقه، وحقدٍ يجدُه.

وأنه تعالى راض في أزله عمَّن علم أنه بالإيمان يختم عمله، ويوافي به، وغضبان على من يعلم أنه بالكفر يختم عمله، ويكون عاقبة أمره، قال الله تعالى جده: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾، وقال: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾، وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾، وقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وقال: ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في أمثال لهذه الآي.

*****

[الاسم هو المسمى نفسه]

فصل: ومن قولهم: إنَّ الاسم هو المسمَّى نفسه، وأنه غير التسمية التي هي قول المسمى.
والدليلُ على ذلك قولُه عز وجل: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ الآية؛ فأخبر تعالى أنهم يعبدون أسماءهم وإنما عبدوا الأشخاص دون الكلام والقول الذي هو التسمية فدل ذلك على أن الاسم الذي ذكره هو نفس المسمى.

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وكذلك قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾. أي: سبح ربك الأعلى.

وكذلك قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾. أي: تبارك ربك، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ والإخبار بالهاء والميم ترجع إلى المسمَّيات لا إلى الأسماء التي هي العبارات.

ومن ذلك قوله للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾. فثبت بذلك أن الاسم هو المسمى.

وقال معمر بن المثنى في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ معناه بالله. وأنشد للَبِـيـد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما   ومن يبـك حولًا كاملًا فقد اعتذر

يريد باسم السلام عليكما نفسه، وهو التحية. فاسمها هو هي، وهذا قول أهل السنة، ومن صح اعتقاده من أهل اللغة.

*****

[استواء الله تعالى بغير كيفية ولا تحديد ولا مجاورة ولا مماسة]

فصل: ومن قولهم: أنه سبحانه فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، ومستولٍ على جميع خلقه، وبائن منهم بذاته، غير بائن بعلمه، بل علمه محيط بهم، يعلم سرهم وجهرهم، ويعلم ما يكسبون، على ما ورد به خبره الصادق، وكتابه الناطق، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾، **واستواؤه عز وجل: علوُّه بغير كيفية، ولا تحديدٍ، ولا مجاورةٍ، ولا مماسة.**

قال مالك رحمه الله للذي سأله عن كيفية الاستواء: **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.**

25

قال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ الآية يعني أن علمه محيط بهم حيثما كانوا، بدليل قوله: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾. وقال عز وجل: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾. وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾، وقال: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾، وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾ الآية. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾، وقال: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ وقال مخبرًا عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ الآية. المعنى: وهو المعبود في السماوات وفي الأرض. وقيل: وهو المنفرد بالتدبير فيهن. وقيل: ذلك على التقديم والتأخير أي: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض. وقيل: التام وهو الله. وقيل: في السماوات.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ ﴾ يعني: أنه إله أهل السماء، وإله أهل الأرض.

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾، و: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾، و: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ ﴾. يعني: أنه يحفظهم وينصرهم ويؤيدهم، لا أن ذاته معهم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا،

وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧ ﴾ الآية. يعني: أنه تبارك وتعالى عالم بهم وبما خفي من سرهم ونجواهم بدليل قوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ فابتدأ الآية بالعلم، وختمها بالعلم.

وروى مقاتل بن حيان عن الضحاك في الآية قال: هو تعالى فوق عرشه، وعلمه معهم. أي: محيط.

فسبحان من لا يبلغه وصفُ واصف، ولا يدركه وهمُ عارف.

حدثنا خلف بن إبراهيم المالكي، قال: نا محمد بن عبد الله بن حيويه النيسابوري، قال: نا إبراهيم بن جميل، قال: نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، نا سريج بن النعمان قال: نا عبد الله بن نافع قال: قال مالك: اللهُ في السماء، وعلمه في كل مكان.

*****

[نزول الله سبحانه إلى السماء الدنيا بلا حد ولا تكييف ولا انتقال ولا زوال]

فصل: ومن قولهم: إنَّ الله جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه: ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل، فيقول: (**هل من داع يدعوني فأستجيب له، وهل من سائل يسألني فأعطيه، وهل من مستغفر يستغفرني فأغفر له؟**) حتى ينفجر الصبح، على ما صحت به الأخبار، وتواترت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، **ونزوله تبارك وتعالى كيف شاء، بلا حدٍّ، ولا تكييفٍ، ولا وصفٍ بانتقالٍ، ولا زوالٍ.**

وقال بعض أصحابنا: ينزل أمره تبارك وتعالى. واحتج بقوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾. وكذا روى حبيب عن مالك بن أنس رحمه الله. وسئل الأوزاعي عن التنزل فقال: يفعل الله ما يشاء. أي: يظهر من أفعاله ما يشاء.

حدثنا عبد الرحمن بن عثمان قال: نا قاسم بن أصبغ قال: نا أحمد بن زهير قال: نا عبد الوهاب بن نجدة قال: نا بقية بن الوليد قال: نا الأوزاعي قال: كان مكحول والزهري يقولان: أمر الأحاديث كما جاءت.

قال أبو عمرو: **وهذا دين الأمة، وقول أهل السنة في هذه الصفات أن تمر كما جاءت بغير تكييف، ولا تحديد، فمن تجاوز المروي فيها وكيَّف شيئًا منها ومثَّلها بشيء من جوارحنا وآلتنا فقد ضلَّ واعتدى، وابتدع في الدين ما ليس منه، وخرق إجماع المسلمين، وفارق أئمة الدين.**

قال نعيم بن حماد، وإسحاق بن راهويه: من شبه الله تعالى بشيء من خلقه فهو كافر.

*****

[الإيمان بالعرش والكرسي]

فصل: ومن قولهم: إن الله سبحانه خلق العرش، واختصَّه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء من غير أن يحدث تغيرًا في ذاته لا إله إلا هو الكبير، وأنه تبارك وتعالى خلق الكرسي وهو بين يدي العرش، ولهما حملة يحملونهما بمشيئته وقدرته. قال الله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾، يعني: ثمانية أملاك، وجاء أنهم اليوم أربعة. وقال عز من قائل: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾.

روى عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض بموضع القدمين[1]، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه.

وقال مجاهد: كانوا يقولون: ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة.

وروى أبو إدريس الخولاني عن أبي ذرٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض الفلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**).

وروى حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة

1- المنقول والمشهور عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه تفسير الإمام الطبري رحمه الله، بتحقيق أحمد شاكر. قال أحمد شاكر فيه: وأمَّا أبو منصور الأزهري فقد قال في ذكر الكرسي: (والصحيح عن ابن عباس ما رواه عمار الدهني، عن مسلمٍ البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: الكرسي موضع القدمين).

وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه.

*****

[الإيمان باللوح والقلم]

فصل: ومن قولهم: إن الإيمان واجب باللوح المحفوظ، وبالقلم، على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾، ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾.

وروى عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أول شيء خلقه الله القلم ثم قال له: اكتب. قال: رب وما أكتب؟ فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة).

وقال ابن عباس في قوله: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ قال: أول ما خلق الله القلم، وخلقت له الدواة وهي النون، فقال له ربه: اكتب؛ قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر خيره وشره؛ فجرى بما هو كائن حتى تقوم الساعة.

*****

[الإيمان بالملائكة]

فصل: ومن قولهم: إن لله عز وجل ملائكة حفظة، يكتبون أعمال العباد، كما أخبر عز وجل بذلك في قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧)﴾ الآية؛ قال مجاهد: يكتبان حتى أنينه. وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون).

وقال الحسن: الحفظة أربعة يعتقبونه: ملكان بالليل، وملكان بالنهار، تجتمع هذه الأملاك الأربعة عند صلاة الفجر، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)﴾.

[ملك الموت]

فصل: ومن قولهم: إن ملك الموت يقبض الأرواح كلها بإذن الله، قال عز من قائل: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، فإذا قبض روح مؤمنٍ دفعها إلى ملائكة الرحمة؛ وإذا قبض روح كافرٍ دفعها إلى ملائكة العذاب، وهو قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١)﴾ يعني: يقبضونها من ملك الموت، ثم يصعدون بها إلى الله عز وجل وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾.

*****

[الإيمان بالقدر، والإرادة والهداية والإضلال]

فصل: ومن قولهم: إنَّ الأقدار كلَّها، خيرَها وشَرَّهَا، حُلْوَها ومُـرَّها، قد عَلِمَهَا تبارك وقَدَّرَها، وأنَّ ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا. وكذا جميع الأعمال قد علمها وكونها وأحصاها وكتبها في اللوح المحفوظ، فكلها بقضائه جارية، وعلى من سعد أو شقي في بطن أمه ماضية، لا محيص لخلقه عن إرادته، ولا عمل من خير ولا شر إلا بمشيئته.

وقال عزَّ من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الآية.

33

ومشيئته تبارك وتعالى، ومحبته، ورضاه، ورحمته وغضبه، وسخطه، وولايته، وعداوته **هو أجمع راجع إلى إرادته.** والإرادة صفة لذاته غير مخلوقة، وهو يريد بها لكل حادث في سمائه وأرضه، مما ينفرد سبحانه بالقدرة على إيجاده، وما يجعله منه كسبًا لعباده من خير وشر، ونفع وضر، وهدى وضلال، وطاعة وعصيان.

ولا يكون حادث إلا بإرادته، ولا يخرج مخلوق عن مشيئته، وما شاء كونه كان؛ وما لم يشأ لم يكن.

يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لا مضلَّ لمن هداه، ولا هادي لمن أضله، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ ﴾.

وقال: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾، وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾، وقال: ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾، وقال: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾، وقال: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾، عن الإيمان بها بالخذلان المانع منه.

وقال مخبرًا عن موسى عليه السلام: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ ﴾، وقال: ﴿ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ ﴾، وقال: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ الآية، وقال: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ الآية.

وقال مخبرًا عن نوح عليه السلام: ﴿ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ ﴾، أي: يضلكم. وقال: ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾، في آي كثيرة.

فهو جلَّ جلالُه موفِّقٌ أهلَ محبَّته وولايته لطاعته، وخاذلٌ أهلَ معصيته، وذلك كلُّه عَدلٌ من تدبيره وحكمته.

وكذا ما يبتليهم به ويقضيه عليهم من خير وشر، ونفع وضر، وغنى وفقر، وألم ولذة، وسقم وصحة، وضلال وهداية، هو عدل منه في جميعهم: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴾، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ ﴾، وقال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ الآية.

وقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ الآية. فجعل تبارك وتعالى الدعاء عمومًا، والهداية خصوصًا.

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾، أي للحال اليسرى: وهي العمل بالطاعة. ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾، أي: للحال العسرى وهي: العمل بالمعصية، وقال صلى الله عليه وسلم: (كل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم تلى الآيتين).

35

فالمؤمنون بالتوفيق آثروا الإيمان، وأقدرهم الله عز وجل عليه، وعلى ترك الكفر. والكافرون بالخذلان آثروا الكفر وأقدرهم الله تعالى عليه وعلى ترك الإيمان. ومعنى قوله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾، إن قومًا من ثمود آمنوا ثم ارتدوا فاستحبوا العمى على الهدى أي: اختاروا الكفر على الإيمان.

ومعنى قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، الخصوص يريد بعضهم وهم الذين علم أنهم يعبدونه، لأنه قال في آية أخرى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ ومن ذرأه لجهنم لم يخلقه لعبادته.

وقال مجاهد: معنى ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾: ليعرفون. أي: ليعرفوا أن لهم خالقًا ورازقًا.

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾، الحسنة هاهنا: الخصب والغنيمة، والسيئة: الجذب والنكبة؛ لأنهم كانوا يتشاءمون بالأنبياء

عليهم السلام كما أخبر بذلك في قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ ﴾ يعني الرخاء والعافية ﴿ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ ﴾ أي: بحق أصابتنا ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ ﴾ يعني: بلاء وشدة: ﴿ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾ فقال الله تعالى رادًا عليهم متعجبًا من قولهم: ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ ﴾ ﴿ مَّآ أَصَابَكَ ﴾ أي يقولون: ما أصابك ﴿ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾، إضمار القول في القرآن والكلام كثير.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾، أي يقولون: سلام عليكم. ومثله: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا ﴾ أي: يقولون. ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ أي يقولون: أخرجوا.ومثله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ ﴾ أي يقولون: ما نعبدهم، فكذلك ما تقدم سواء.

*****

[خلق أفعال العباد وتقدير الأرزاق والآجال]

فصل: ومن قولهم: إن الله سبحانه مقدِّرٌ أرزاقَ الخَلقِ، ومؤقِّتٌ لآجالهم، وخالق لأفعالهم، وقادر على مقدوراتهم، وأنه إلهٌ وربٌّ لنا، لا خالق غيره، ولا رب سواه، على ما أخبر به جل ثناؤه في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾، وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾.

37

وقال: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠﴾، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾. وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣﴾، وقال: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ الآية. فبيَّن تعالى أنه خالق العباد، وضحكهم وبكائهم وقولهم، وسائر أعمالهم.

*****

[إثبات صفة الكلام لله]

فصل: ومن قولهم: إن كلام الله صفة لذاته، لم يزل ولا يزال موصوفًا به. قال جل ثناؤه: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ الآية. وقال: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الآية، وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾، وقال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ ﴾، وقال: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾، وقال: ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾.

وسامع كلامه منه تعالى بلا واسطةٍ، ولا ترجمان كجبريل وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم سمعه من الله غير متلوٍ ولا مقروء، فهو القائل جل جلاله لموسى عليه السلام: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾، وكذلك قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾، فأكد الفعل بالمصدر الذي يزيل المجاز، ويوجب الحقيقة.

38

وقال: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ ومن عداهم ممن لا يتولى خطابه بنفسه فإنما يسمع كلامه متلوًا ومقروءًا. وقال عز من قائل: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾، يريد: متلوًا ومقروءًا.

*****

[القرآن كلام الله غير مخلوق]

فصل: ومن قولهم: إن القرآن كلام الله، وصفة لذاته، جديد لا يبلى، ولا يفنى، ولا يَخلقُ على كثرة الرد، منزل مفروق، ليس بخالق ولا مخلوق، وقال الله تعالى: ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ ﴾. قال ابن عباس: غير مخلوق؛ وذلك كذلك إذ كل مخلوق معوج من حيث كان مفتقرًا إلى خالقه.

وروى محمد بن إسماعيل البخاري، عن الحكم بن محمد، عن سفيان بن عيينة قال: أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة، منهم: عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق.

وقد أدرك عمروٌ ابنَ عمر، وابن عباس، وجابرًا وغيرهم من الصحابة.

39

وروى غير واحد عن سفيان قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: سمعت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق، وما دونه مخلوق، إلا القرآن فإنه كلام الله.

وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (القرآن كلام الله غير مخلوق).

وكلام الله سبحانه قائمٌ به، ومختصٌّ بذاته، ولا يصح وجودُه بغيره، وإن كان محفوظًا بالقلوب، متلوًا بالألسن، مكتوبًا في المصاحف، مقروءًا في المحاريب، على الحقيقية لا على المجاز، وغير حال في شيء من ذلك، ولو جاز وجوده في غيره لكان ذلك الغير متكلمًا به، وآمرًا وناهيًا وقائلا: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ وذلك خلاف دين المسلمين.

وكلامه جل جلاله: مسموع بالآذان، وإن كان مخالفًا لسائر اللغات، وجميع الأصوات، وليس من جنس المسموعات، كما أنه -جلَّ وعزَّ- يُـرَى بالأبصار وإن كان مخالفًا لأجناس المرئيات

وكما أنه تعالى موجود مخالف لجميع الحوادث الموجودات. ولا يجوز أن يحكى كلام الله تعالى، ولا أن يلفظ به؛ لأن الحكاية الشيء مثله وما يقاربه.

كلام الله عز وجل: لا مثل له من كلام البشر، ولا يجوز أن يتكلم به ويلفظ به الخلق لأن ذلك يوجب كون كلام المتكلمين قائمًا بذاتين قديم ومحدث، وذلك خلاف الإجماع والمعقول.

ولا يسع أحدًا أن يقول: القرآن كلام الله ويسكت، حتى يقول: غير مخلوق.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: لولا ما وقع في القرآن –يعني من القول بخلقه– لوسعه السكوت، ولكن لم يسكت. يريد أنه إنما يسكت لريبةٍ.

وقال رحمه الله: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي. قال: ومن قال: لفظي به غير مخلوق فهو قدري. وقد قال أيضًا: فهو بدعي. وقول أحمد هذا قول جميع أهل السنة من الفقهاء، والمحدثين والمتكلمين!!

قال شيخنا أبو بكر محمد بن الطيب: قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو ضال مبتدع، وقائل بما لم يقل به أحد من سلف الأمة.

قال أبو بكر: وكذلك نضلل ونبدع من قال: لفظي به غير مخلوق. وهو مذهب أحمد بن حنبل الذي رواه عنه ابناه صالح وعبد الله.

قال: نا سلمة بن سعيد، قال: نا محمد بن الحسين، قال: نا محمد بن مخلد، قال: نا أبو داود، قال: نا أحمد بن إبراهيم، قال: سألت أحمد قلت: هؤلاء يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة؟ فقال: هذا

شر من قول الجهمية، من زعم هذا فقد زعم أن جبريل عليه السلام جاء بمخلوق، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بمخلوق.

حدثنا ابن سعيد قال: نا محمد قال: نا ابن مخلد قال: نا أبو داود قال: سألت أحمد ابن صالح عمن قال: القرآن كلام الله، ولا يقول مخلوق ولا غير مخلوق؟! فقال: هذا شاكٌّ، والشاك كافر.

حدثنا محمد بن عيسى، قال: نا وهب بن مسرة، قال: نا محمد بن وضاح قال: كل من أدركت من فقهاء الأمصار، مكة، والمدينة، والعراق، والشام، ومصر وغيرها يقولون: القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق.

41

قال ابن وضاح: ولا يسع أحدًا أن يقول: كلام الله فقط؛ حتى يقول: ليس بخالق ولا مخلوق.

حدثنا ابن سعيد، قال: نا محمد بن الحسين، قال: نا جعفر بن إدريس القزويني، قال: نا حمويه بن يونس، قال: نا جعفر بن محمد بن فضل الرأسي رأس العين قال: نا عبد الله بن صالح – كاتب الليث–، قال: نا معاوية بن صالح، عن علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ قال: غير مخلوق.

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الفرائضي، قال: نا أبو الحسين عبد الله بن أحمد المقرئ قال: نا أبو بكر محمد بن عثمان بن نصر المروزي، قال: نا أحمد بن منصور النيسابوري، قال: نا أحمد بن عيسى الخشاب، قال: نا الحسين بن عبد الله الأزدي، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق).

*****

[رؤية المؤمنين لربهم بغير حد ولا نهاية ولا مقابلة]

فصل: ومن قولهم: أن الله سبحانه وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين في المعاد، فيرونه بالأبصار على ما نطق به القرآن، وتواترت به أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، وأكد ذلك بقوله في الكافرين: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ تخصيصًا منه برؤيته المؤمنين.

قال الله عز وجل: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾. والزيادة: النظر إلى الله تعالى، جاء ذلك مفسرًا كذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن غير واحد من الصحابة والتابعين.

42

وقال تعالى مخبرًا عن موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾، ولولا علمه بجواز الرؤية بالأبصار عليه لما أقدم على أن يسأله ذلك.

ورؤيته تعالى بغير حد، ولا نهاية، ولا مقابلة، ولا محادة، لأنه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته**). وروى ابن وهب، عن مالك أنه قال: أهل الجنة ينظرون إلى الله تعالى بأعينهم، وأشار ابن وهب إلى عينه. ومعنى: (لا تضامون) أي: لا تدافعون ولا تزدحمون. ومعنى الحديث الآخر: (لا تضارون في رؤيته). أي: لا يدخل عليكم ضرر في رؤيته.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾. قيل: اطلع. وقيل: ظهر من أمره ما شاء. وقيل معناه: فإنه خلق في الجبل حياة ورؤيةً حتى رأى ربه.

ومعنى قول موسى عليه السلام: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾. أي: من التقدم بالمسألة قبل الإذن فيها. وقيل: من ذنوب تقدمت؛ ذَكَرها عند ظهور الآية، جدَّد التوبة منها. ومعنى قوله: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ أي: بأنه لا يراك شيء من خلقك إلا حل به ما حل بالجبل. وقيل: أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا.

ومعنى قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى ﴾، أي: في الدنيا، لأن موسى إنما سأله الرؤية في الدنيا، وكان ذلك جوابًا لسؤاله.

وكذلك معنى قوله عز وجل: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: في الدنيا، لأنها دار الفناء، والنظر إليه تعالى من جزاء الأعمال، وهو أبلغ الجزاء، قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وليست الدنيا بدار جزاء.

وقيل: معنى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: لا تحيط به، وهو تعالى محيط بها كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾، بعد قوله: ﴿ تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ وقال في قصة فرعون: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ﴾ فالإدراك في هاتين الآيتين: الإحاطة لا الرؤية، فكذلك هو في الآية المتقدمة سواء.

*****

[الإيمان بالحساب]

فصل: ومن قولهم: إن الله تعالى يحاسب عباده يوم القيامة، ويسألهم عن أعمالهم، على ما أخبر به في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾، وقال عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ الآية. وقال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾، وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾، وقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾، وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

وحدثنا محمد بن عبد الله، قال: نا وهب بن مسرة، قال: نا محمد بن وضاح، قال: نا ابن أبي شيبة، قال: نا وكيع، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان**).

44

*****

[الإيمان قول وعمل ونية وإصابة للسنة]

فصل: ومن قول الفقهاء والمحدثين: إن الإيمان قول، وعمل، ونية، وإصابة السنة.

فالقول: الشهادة لله سبحانه وتعالى بما تقدم وصفنا له، والإقرار بملائكته وكتبه ورسله وبجميع ما جاء من عنده. **والعمل**: أداء الفرائض التي فرضها، واجتناب المحارم التي حرمها. **والنية**: أعمال القلوب واعتقاداتها. **والسنة**: معرفة الديانة بالعلم.

وبيان هذا كله في كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ الآية. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾، وقال: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ الآية. وقال: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾، وقال: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾ الآية. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ ﴾ الآية. وقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾، وقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ الآية. وقال: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

صَدَقُوٓاْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ الآية. وفيها: ﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ ﴾، وفيها: ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾، وقال ابن عباس والبراء: يعني صلاتهم إلى بيت المقدس. فسمى الصلاة إيمانًا، في نظائر لهذه الآي تدل على أن الإيمان كما قالوه.

فإن قال قائل: فما الإيمان عند المتكلمين من أصحابكم؟

قلت: التصديق كما قدمناه أولًا، ودللنا على صحته.

فإن قال: وما الطاعات عندهم؟

قلنا: شرائع الإيمان، بدليل قوله تعالى في غير موضع: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فوصفهم بالإيمان ووصفهم بعمل الصالحات، فدل على أن الأعمال الصالحة شرائع الإيمان، وأن الإيمان هو التصديق.

فإن قال: تأويل ابن عباس والبراء لقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾ يعني: صلاتكم يدل على أن الإيمان: الطاعات، وأن كل طاعة إيمان؟

قلت: ليس بدال على ذلك، إذ ممكن أن يحمل ذلك على التوسع، فلذلك سمينا الصلاة إيمانًا إذ كانت من شرائع الإيمان، وبالله التوفيق.

*****

[في زيادة الإيمان ونقصانه]

فصل: ومن قولهم –أيضًا–: إن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويقوى بالعلم، ويضعف بالجهل، ويخرج بالكفر.

والدليل على زيادته قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، وقوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ في أمثال لذلك من الآي.

والدليل على نقصانه قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ الآية، فما حبط فلا شك في نقصانه.

وقال صلى الله عليه وسلم في النساء: (**ما رأيت من ناقصات دين وعقل أغلب على ذي لبٍّ منكن**). وقال صلى الله عليه وسلم: (**يخرج من النار من في قلبه مثقال من الإيمان، ونصف مثقال، وربع مثقال**) حتى ذكر الخردلة والشعيرة، فمن معه قدر مثقال فإيمانه لا شك أزيد ممن معه قدر خردلة وشعيرة.

وأقل الإيمان: ما لا يجامعه الشكوك. **وأكثره**: إيمان الأنبياء عليهم السلام.

حدثنا الخالقاني خلف بن حمدان، قال: نا محمد بن عبد الله النيسابوري، قال: نا عمي يحيى بن زكريا، قال: نا محمد بن يحيى، قال: نا أبو بكر بن أبي الأسود، قال: نا إبراهيم ابن أبي الوزير قال: سألت مالكًا عن الإيمان فقال: قول وعمل. فقلت: يزيد وينقص؟ قال: نعم.

*****

[الاستثناء في الإيمان]

فصل: ومن قولهم: إن الاستثناء في الإيمان جائز واسع إذا كان عائدًا إلى العاقبة أو الكمال، ولا يجوز على طريق الشك، لأن أقل ما يقبل من الإيمان ما لا يجامعه الشكوك.

48

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: الاستثناء في الإيمان: سنة ماضية عند العلماء، وليس بشك. قال: وإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فليقل: أنا مؤمن إن شاء الله، أو: مؤمن أرجو. أو يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وروى منصور عن إبراهيم قال: قيل لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو إن شاء الله.

وقال أبو بكر المروذي: قيل لأحمد بن حنبل: إن استثنيت في إيماني أكون شاكًا؟ قال: لا.

وقال أحمد: حدثني على بن بحر، قال: سمعت جرير بن عبد الحميد، يقول: كان الأعمش، ومغيرة، ومنصور، وليث، وعطاء بن السائب، وإسماعيل بن أبي خالد، وعمارة بن القعقاع، والعلاء بن المسيب، وابن شبرمة، وسفيان الثوري، وحمزة الزيات يقولون: نحن مؤمنون –إن شاء الله– ويعيبون على من لم يستثن.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ترك الاستثناء هو أصل الإرجاء.

وقال ابن حنبل: من لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجئ.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**إن الرجل ليمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، ويصبح كافرًا ويمسي مؤمنًا**) وهو الذي سوغ الاستثناء لجهل الكل بعاقبة أمرهم وما يختم لهم به.

حدثنا حمزة بن علي البغدادي، قال: نا الحسن بن يوسف، قال: نا نصر ابن مرزوق، قال: نا أسد بن موسى، قال: نا عبد العزيز بن محمد، قال: نا العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يعمل بعمل أهل النار فيجعله من أهل النار**).

49

*****

[معنى الإسلام]

فصل: ومعنى الإسلام: الاستسلام، والانقياد، والمتابعة، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿**وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا**﴾ أي: انقاد له. ومنه قول إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾ أي: انقدت وتابعت. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ أي استسلما لما أمرا به. وكذا قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ يريد الله تعالى بإسلامهم: الاستسلام فزعا من السيف دون انشراح الصدر بالإيمان. فأثبت لهم الإسلام، ونفى عنهم التصديق والإيمان.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ يريد من انقاد إليكم ظاهره، وأذعن بكلمة الحق، لأنكم لا تعرفون باطنه، فكل طاعة استسلم بها العبد لربه وانقاد بها لأمره، فهي من جملة الإسلام.

[كل إيمان إسلام، وكل إسلام إيمان]

فصل: والإيمان أعلى خصلة من خصال الإسلام، ولا تتم طاعة الله، وقربة إليه إلا به، فوجب بذلك أن يكون كل إيمان إسلامًا لله من حيث كان قربة إليه، وانقيادًا، واستسلامًا لأمره، وأن يكون كل إسلام إيمانًا، لأن من الإسلام إيمانًا هو تصديق، ومنه ما ليس بتصديق.

فأما قوله عز وجل: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾، فلا يدل على أن كل إسلام إيمان، وأن الإسلام هو الإيمان على ما ذهب إليه بعض الناس، لأنه لم يكن في أهل تلك القرية مؤمنون مصدقون لله عز وجل، ولا ممن يريد الله بالطاعة، ويستسلم لأمره غير أهل البيت، صاروا هم المؤمنون، وهم المسلمون فقال عز وجل: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الآية، فوصفهم بالتصديق والإقرار، وبالانقياد والتسليم الذي هو من فروع الإيمان!!

[في منة الله على المؤمنين بالإيمان]

فصل: وأجل نعم الله على خلقه الطائعين، وعباده المؤمنين: خلقه الإيمان في قلوبهم، وإجراؤه على ألسنتهم، وتوفيقهم لفعله، وتمكينهم من التمسك به. وخلق الإيمان والتوفيق له نعمة خص الله تعالى بها المؤمنين دون الكافرين، ولذلك قال جل وعلا: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾، ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾، وقال

عز وجل: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم﴾، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ الآية، وقال: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾، ولو كانت هذه النعمة على الكافرين لم يكن لتخصيصه بها المؤمنين وامتنانه بها على النبيين معنى، إذ كان قد أنعم بها على المردة المشاقين، والكفرة الضالين.

[الإيمان بما جاءت به الرسل]

فصل: ومن قول جميعهم: إن جميع المكلفين يلزمهم الإيمان بكل ما أتت به الرسل، ونطقت به الكتب، وبجميع فرائض الدين من الوضوء، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وحصول النفع والرشاد في جميع ما ندب الله تعالى إليه، ورغب في فعله، وإباحة جميع ما أحله وأطلقه لعباده، وتحريم كل ما حرم وحظر على خلقه من السرقة، والزنا، واللواط، وسفك الدماء، واستحلال الأموال، وترك الواجبات، ونكاح ذوات المحارم من الأمهات، والأخوات والبنات، ومن سمى الله تعالى في الآية، ومن حرم نكاحه بالرضاعة، وحلائل الأبناء، والجمع بين الأختين، وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر، وقذف المحصنات إلى غير ذلك من سائر المحرمات الوارد تحريمها في الكتاب والسنة.

51

*****

[في جزاء الحسنة والسيئة]

فصل: ومن قولهم: إن الله تعالى يجازي بالحسنة عشرًا، وبالسيئة مثلها، ويعفو عن كثير، ولا يضيع عمل عامل من المؤمنين كما قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا

يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾، وقال عز وجل: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾، وقال: ﴿ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ ﴾، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾، وقال: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ يريد –وهو أعلم– بالعمل الصالح: الدخول في شريعة الإسلام، وتصديق الرسول عليه السلام.

*****

[وجوب التوبة وشروطها]

فصل: ومن قولهم: إن فرضًا على جميع العصاة المذنبين التوبة إلى الله عز وجل من ذنوبهم صغيرها وكبيرها، والندم على ما كان منهم، ورد الظلامات إلى العباد، وضمان قيمة ما أنفقوه، والعزم على أدائه متى أمكنهم ذلك، إذا تعذر رده بعينه ورد قيمته، والدليل على وجوب التوبة قوله عز وجل: ﴿**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ** ﴿٣١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا**﴾، وقال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في غير موضع، وقال: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ**﴾، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ** ﴿٢٢٢﴾﴾ في أمثال لهذه الآي، وردت في إيجاب التوبة والدعاء إليها، والحث عليها، والتحذير من تركها، وغليظ الوعيد في التخلف عنها، وقول الله عز وجل: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ الآية، دليل على أنها عليهم واجبة قبل المعاينة وحضور الملائكة.

حدثنا محمد بن خليفة الإمام، قال: نا محمد بن الحسين، قال: نا عبد الله ابن سليمان قال: نا إسماعيل بن [عبد الله] الأصبهاني، قال: نا عثمان بن الهيثم، قال: نا عوف، عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله سبحانه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**).

*****

[في مغفرة الله لما دون الشرك]

فصل: ومن قولهم: إن الله سبحانه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لمجتنبي الكفر، وهو الذي أراد بقوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾، أي: إن اجتنبتم أكبر ما نهيتم عنه، وهو الكفر بالله تعالى؛ وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ وأنه سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير من السيئات، ويغفر لمن يشاء من المذنبين من أمة نبيه صلى الله عليه وسلم.

*****

54

[وعد الله ووعيده]

فصل: ومن قولهم: إن الوعد فضل الله عز وجل ونعمته، والوعيد عدله وحقه، وأن الجنة دار المطيعين بلا استثناء، وجهنم دار الكافرين، وأرجأ تعالى لمشيئته من المؤمنين العاصين من شاء ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ ﴾، ولا يسأل عما فعله. قال الله تعالى فيما وعد به المؤمنين المطيعين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾، وقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الآية. وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ الآية. وقال: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ إلى آخر السورة.

وقال في العصاة الكافرين: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ الآية. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾﴾ الآية. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾﴾ الآية. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾﴾ وقال: ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: ماكثين فيها أبدًا إلى غير نهاية.

وقال تعالى في المرجئين لمشيئته من المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، وقال: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الآية. وقال: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾، وقال: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾﴾ الآية. والكبائر هاهنا: الكفر. بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ الآية، والسيئات التي يغفرها هي ما دون الشرك، فوعده تبارك وتعالى للمؤمنين المطيعين صدق، ووعيده للكافرين المشركين حق، ومن مات من المؤمنين مصرًا على ذنب فهو في مشيئته وخياره، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

*****

[القول في عصاة الموحدين وأحكامهم في الدنيا]

فصل: ومن قولهم: أن لا ينزل أحد من أهل القبلة جنة ولا نارًا إلا من ورد التوقيف بتنزيله، وجاء الخبر من الله تبارك وتعالى ورسوله عن عاقبة أمره. وأن الصلاة واجبة على من مات منهم، وإن عمل الكبائر؛ وأنَّ الرجم لمن أحصن من أحرار المسلمين، والمسلمات، والمؤمنين، والمؤمنات لازم.

*****

[الحج والجهاد والصلاة، مع الظالم]

وأنَّ الحجَّ والجهاد مع كلِّ خليفةٍ، لا يَـقطع ذلك ظلمُ ظالم، ولا جَور جائر، وكذا صلاة الجمعة، والعيدين، خلف كل إمام من أئمة قريش برًا كان أو فاجرًا سنة. وتكره خلف أهل البدع منهم، وقال بعض أصحابنا: يصلى خلفهم للأثر الوارد مطلقًا بذلك ثم تعاد بعد.

[لزوم الجماعة واتباع السنن]

فصل: ومن قولهم: إن من فرائض الدين لزوم جماعة المسلمين، وترك الشذوذ عنهم والخروج من جملتهم قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾ الآية.

*****

[التسليم لله في أحكامه]

ومنها: التسليم والانقياد للسنن، لا تعارض برأي، ولا تدافع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ويلزمنا أن نتبعهم فيما بينوا، وأن نقتدي بهم فيما استنبطوا، وأن لا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه، أو في تأويله.

*****

[الإيمان بالمحكم والمتشابه]

57

ومنها: التصديق بما جاء عن الله، وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخباره، ووجوب العمل بمحكم القرآن، والإقرار بنصِّ مشكله ومتشابهه، وما غاب عنها من حقيقة تأويله فنكله إلى الله تعالى، إذ هو العالم بتأويل المتشابه من كتابه، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا.

*****

[التصديق بالرؤيا واجب]

فصل: ومن قولهم: إن التصديق بالرؤيا واجب، والقول بإثباتها لازم، وأنها جزء من أجزاء النبوة، كما ورد الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى أنس، وأبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة).

ومعنى ذلك: أن الأنبياء عليهم السلام يخبرون بما سيكون، والرؤيا تدل على ما سيكون، وقال عز وجل: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾، وجاء عن النبي عليه السلام، وعن غير واحد من الصحابة، والتابعين: أنها الرؤية الصالحة، يراها المؤمن أو ترى له.

وقال عز من قائل مخبرًا عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦ ﴾ إلى آخر الآيات. وقال مخبرًا عنه: ﴿ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ ﴾ وكذلك ما أخبر به من رؤيا إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ ﴾ يريد: العمل، أي: بلغ أن يتصرف معه وأن ينفعه: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ إلى آخر الآيات. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان).

*****

[الإسراء والمعراج]

فصل: ومن قولهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم أسري به يقظان لا نائمًا، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السماوات العلى إلى سدرة المنتهى على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ الآية. وقال عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به لا رؤيا نوم، وقاله سعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، ومسروق، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، وابن جريج، وابن زيد. وقال عكرمة: هي رؤيا يقظة.

59

ولو كانت رؤيا نوم على ما يذهب إليه طوائف أهل البدع من المعتزلة وغيرهم، لم تكن فتنة للناس حتى ارتاب قوم، وارتد قوم عن الإسلام، ولا كان أيضًا فيها دلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم، ولا حجة على رسالته، ولا كان الذين أنكروا ذلك من أهل الشرك يدفعونه عن صدقه في ذلك، إذ غير منكر عندهم، وعند كل أحد أنه قد يرى الرائي في المنام ما على مسيرة سنة فضلًا عما هو مسيرة شهر ودونه، هذا مع دليل ظاهر النص المذكور الذي لا طريق للمجاز فيه على أنه صلى الله عليه وسلم أسري بجسده لا بروحه دونه، وهو قوله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى أسرى به على دابة يقال لها: البراق، والدواب لا تحمل الأرواح، وإنما تحمل الأجسام.

وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ أي: علم محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ أي: شديد الخلق، يعني جبريل عليه السلام ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي: فاعتدل قائمًا. يعني جبريل

عليه السلام: ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ يعني: وجبريل بالأفق الأعلى، أي: بالمشرق من حيث تطلع الشمس ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ أي: فتدلى جبريل بالوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم يعني: فقرب ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ أي: قدر ذراعين ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ أي: فأوحى جبريل إلى محمد، وقيل: فأوحى الله تعالى إلى محمد ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ قال الحسن: ما كذب فؤاده ما رأت عيناه ليلة أسري به. بل صدقه الفؤاد ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾، وأنه صلى الله عليه وسلم رأى هناك الأنبياء عليهم السلام: آدم، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وإدريس، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وكلمه الله تعالى، وأدخله الجنة وأراه النار على ما تواترت به الأخبار، وثبتت بنقله الآثار.

*****

[الإيمان بالجنة والنار]

فصل: ومن قولهم: إن الله سبحانه قد خلق الجنة والنار قبل خلق آدم عليه السلام، خلقهما للبقاء لا للفناء وأعدهما لأهل الثواب والعقاب، على ما أخبر به تعالى في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عز من قائل: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾، وقال: ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾، وقال: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ والشيء المعد لا يكون إلا موجودًا مفروغًا منه، كما قال:

وأعددت للحرب أوزارها... رماحًا طوالًا وخيلًا ذكورًا

61

قال الله مخبرًا عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾، وقال: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت الجنة –أو أريت الجنة– فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء).

وأن الجنة في أعلى عليين، والنار في أسفل سافلين، وأنهما لا يفنيان، ولا يموت أهلوهما، قال عز وجل: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾، وقال: ﴿ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾، وقال: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾، وقال: ﴿ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ وقال: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ ﴾، وقال: ﴿ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ وقال: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾، وقال: ﴿ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

وقال في الكفار: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾، والمقيم: الدائم الثابت الذي لا ينتقل ولا يزول. وقال: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم ﴿مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾.

وأن آدم عليه السلام خلق في جنة الخلد، ومنها أهبط بخطيئته إلى الأرض على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ ثم قال بعد: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾، وقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾.

*****

[فتنة القبر وسؤال منكر ونكير، وأرواح المؤمنين والكافرين وعذاب القبر]

فصل: ومن قولهم: إن المؤمنين والكافرين يحيون في قبورهم، ويفتنون ويسألون، وإن فتاني القبر: أسودان أزرقان وهما منكر ونكير، يُسَائِلان المؤمن والكافر كما صحَّ الخبر وثبت النقل بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ و﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ وأن أرواح المؤمنين منعمة إلى يوم الدين، وأن أرواح الكافرين في العذاب الأليم.

63

والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، وأن أرواح الكافرين في حواصل طير سود معلقة في النار.

وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما نسمة المؤمن –يعني: روحه– طائر يعلق في شجر الجنة – أي يرعى– حتى يرجعه الله إلى جسده).

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، ويقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة).

وقال صلى الله عليه وسلم: (ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريب من فتنة الدجال)، وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من فتنة القبر.

ومما يدل على عذاب القبر من نص التنزيل قوله عز وجل ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾، يعني: عذاب الدنيا بالقتل وغيره، وعذاب القبر. وقوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ ﴾ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الصحيحة أنه قال: (نزلت في عذاب القبر). وقوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عذاب القبر).

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾. قال ابن عباس والبراء بن عازب: عذاب القبر.

وقوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾. روي عن زر بن حبيش عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: نزلت في عذاب القبر. وقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾.

روى أبو يحيى عن مجاهد قال: عذاب القبر وعذاب الدنيا.

وقوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ ﴾.

ومما يدل أيضًا على الإحياء في القبر قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ يعني نطفًا في أصلاب آبائكم ﴿فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ﴾ يعني في الأرحام، وحين أخرجكم إلى الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يعني في القبر ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يعني في القيامة.

وروى السُّدي عن أبي صالح في قوله عز وجل:﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ قال: يحييكم في القبر. وفي هذا دليل على موتتين وعلى حياتين قبل القيامة، وذلك الإحياء في القبر للسؤال

والعذاب ورؤية الثواب، وقال السدي في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ قال: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فسئلوا وخوطبوا، ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة.

وقال صلى الله عليه وسلم: (إنه يسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه مدبرين).

*****

[البعث والحساب]

فصل: ومن قولهم: إن الله سبحانه يعيد العباد، ويحيي الأموات، ويبعث من في القبور، [ويجيء] يوم القيامة لفصل القضاء، يجيء والملائكة صفًا صفًا على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾، ﴿ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ وقال: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ الآية. وقال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾، وقال: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ الآية.

وأن الأجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى، وأن الجلود والألسنة والأيدي، والأرجل التي كانت في الدنيا هي التي تشهد على من تشهد عليه منهم يوم القيامة.

66

*****

[الإيمان بالصراط]

فصل: ومن قولهم: إن الله سبحانه يمد الصراط جسرًا على شفير جهنم للجواز عليه، أدق من الشعر، وأحد من السيف، على ما صحت به الأخبار، وثبتت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيجوزه العباد بقدر أعمالهم، ويخف ويضعف جوازه بقدر طاعتهم ومعاصيهم، وقد ذكر الله تعالى الصراط في غير موضع من كتابه، وتواترت الأخبار فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يلحق الناس عليه من الأهوال: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

67

حدثنا أحمد بن إبراهيم المكي، قال: نا محمد بن إبراهيم، قال: نا سعيد بن عبد الرحمن، قال: نا سفيان، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ أين يكون الناس يومئذٍ؟ قال: (على الصراط).

*****

[الإيمان بالميزان، وأخذ الكتاب باليمين والشمال]

فصل: ومن قولهم: إن الله تعالى يضع الموازين، وتأتي كل نفس معها سائق وشهيد، فيزن صحائف الأعمال كما أخبر عز وجل بذلك في قوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الآية. وقال: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾، وقال: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان [على] اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم). وقال: (أثقل شيء يوضع في الميزان الخلق الحسن).

68

وهم أهل يمين وشمال، قال عز من قائل: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾: وهم أهل الجنة. ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾: وهم أهل النار.

ويؤتون كتبهم بأيديهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك هم المفلحون، ومن أوتي كتابه بشماله أو وراء ظهره فأولئك هم الخاسرون.

والموازنة للمؤمنين الذين معهم طاعات وسيئات ربما اعتدلت وربما رجح بعضها على بعض، وأما الكفار فلا طاعة لأحد منهم يوازن بها كفرهم، فوجب أن لا يكون لهم حسنات، ولا موازنة. قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ وقوله: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ عبارة على (عن؟؟) أنها لا بر لهم، ولا طاعة لهم، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى يوم القيامة

بالأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة) إنما يعني صلى الله عليه وسلم: أنه خال من البر والطاعة، وأن لا شيء له ولا فيه منهما فعبر بالوزن عن ذلك والله أعلم (شرح العبارة؟؟).

*****

[الإيمان بحوض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم]

فصل: ومن قولهم: إن للرسول صلى الله عليه وسلم في المعاد حوضًا شرابه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وفيه من الآنية مثل عدد نجوم السماء، يقع فيه ميزابان من الكوثر، لا يظمأ من شرب منه من المؤمنين، ويمنع منه من انحرف عن الدين، وخالف السبيل المستقيم على ما صحت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال عز من قائل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾، والكوثر نهر في الجنة أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم، بذلك تواترت الأخبار، وصحت الآثار.

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الفرائضي، قال: نا علي بن محمد بن زيد، قال: نا محمد بن عبد الله مطين، قال: نا هدبة بن خالد، قال: نا همام بن يحيى، قال: نا قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل).

*****

[الإيمان بالشفاعة عامة، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة]

ومن قولهم: إن الله يشفع نبيه صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته وصحابته، ومن يشاء من صالح عباده، في عصاة أهل ملته، ويخرج بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار قوم بعد ما امتحشوا فيها وصاروا حممًا، ويدخلون الجنة ويغسلون في ماء الحياة فتنبت لحومهم كما تنبت الحبة في حميل السيل، على ما أتت به الأخبار الصحاح عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال عز من قائل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم عن غير واحد من الصحابة أن المقام المحمود: الشفاعة. وقال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ يعني: إذا أذن في الشفاعة، وأخرج العصاة المؤمنين من النار.

وقال في الكافرين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾، وقال فيهم: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾.

وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ﴾ عن (لعلها من؟؟؟) الملائكة ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾، والعصاة لتمسكهم بالتوحيد والإقرار والتصديق مرتضون، بدليل قوله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾، ثم قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾، ومرتضى ومصطفى واحد؛ على أن علي بن أبي طلحة قد روى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ قال: الذي ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله. وقال أصحابنا معناه: إلا لمن ارتضى أن يشفع فيه، وليس معناه إلا لمن رضي عمله، لأن من رضي له جميع عمله لا يحتاج إلى شفاعة.

قال الله عز وجل: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، وقال: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه)، وقال صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة)، فلا يديم تبارك وتعالى عذابه إلا على الكافرين، ولا يخلد في ناره إلا الجاحدين، على ما أخبر به في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ وقال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩﴾، وقال: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾.

*****

[في صفة خلق السموات والأرض]

فصل: ومن قولهم: إن السموات السبع طباق بعضهن فوق بعض مسطحات، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾، وقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾.

قال مجاهد: أي سبع سموات بعضهن فوق بعض.

وحكى أهلُ اللغة: طارقت الشيء إذا جعلت بعضه فوق بعض.

72

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾، وقال: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾، يعني: بسطها ومدها، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ أي: ملتصقتين ﴿ فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ أي: فصلنا بين كل سماء، وبين كل أرض.

وقال مجاهد: كانت السماء واحدة، والأرض واحدة، ففتق من السماء ستًا فصارت سبعًا، وفتق من الأرض ستًا فصارت سبعًا. وروى ابن أبي نجيح عنه في قوله: ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ قال: فتق الله سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها تحت بعض. وروى معمر، عن قتادة في قوله: ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ قال: سوى بعضهن فوق بعض، بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام.

[خلق الكواكب والنجوم والبروج]

فصل: ومن قولهم: أن الشمس، والقمر، والدراري، والبروج، والنجوم جارية في الفلك، وأن السماء الدنيا مختصة بذلك كله دون سائر السموات.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ أي: نجومًا ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا ﴿٦١﴾﴾ أي شمسًا ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ أي: مضيئًا، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾ أي: ذات النجوم، وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ﴾.

وروى وهب بن منبه عن علي وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ قال: (هي خمسة كواكب: البرجيس، وزحل، وعطارد، وبهرام، والزهرة، تجري مع الشمس والقمر في الفلك، وسائر الكواكب معلقة من السماء كتعليق القناديل في المساجد).

وروى أبو عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: النجوم كلها معلقة كالقناديل بين السماء في الهواء.

وقال قتادة: خلق الله جل ثناؤه هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن [تأول] منها غير ذلك فقد أخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي: يجرون. وقيل يدورون.

روى شهر بن حوشب، عن عبد الله بن عمرو قال: إن الشمس والقمر وجوههما إلى السماء، [وأقفيتهما] إلى الأرض، يضيئان في السماء كما يضيئان في الأرض.

وروى أبو صالح مولى أم هانئ عن نوف البكالي قال: إن الشمس والقمر والنجوم ليس منها شيء لازق بالسماء، وإنما تجري في فلك دون السماء.

وقال الحسن: إن الشمس، والقمر، والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض، كهيئة فلكة المغزل تدور فيها، ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تجر.

وروى وهب بن منبه عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خلق الله بحرًا دون [الفلك] فهو موج مكفوف قائم في الهواء تجري الشمس والقمر والخنس فيه فذلك قوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: الفلك موج دون السماء قائم في الهواء تجري الشمس، والقمر، والنجوم فيه.

وقال مجاهد: الفلك كهيئة الرحى.

وقيل: الفلك سرعة جري الشمس، والقمر، والنجوم وسيرها.

قال الضحاك في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾: الجري والسرعة.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس، والقمر وقرأ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ وقال: فلك البروج بين السماء والأرض.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾ أي: ألم تعلموا أولم يبلغكم، كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾ و ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ ﴾ أي: ألم يبلغك فعلي بهم، أو لم أوح إليك. ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾.

إن قيل: كيف قال: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ والقمر في إحداهن دون سائرهن؟

قيل: في قوله ﴿فِيهِنَّ﴾ للمفسرين وعلماء اللغة أقوال:

منها: أن معنى ﴿ فِيهِنَّ ﴾ كما يقال: زيد في القوم، أي: معهم؛ قال محمد بن السائب: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ أي: معهن ضياءً لأهل الأرض.

وقال ابن كيسان: جواب النحويين في ذلك: أنه إذا جعل النور في إحداهن فقد جعله فيهن كما يقال: أعطني الثياب المعلمة، وإن لم يعلم منها إلا [واحدًا].

وقال غيره: إنما قال: ﴿فِيهِنَّ﴾ كما يقال: في هذه الدور وليمة وهي في واحدة منهن، وكما يقال: قدم فلان شهر كذا، وإنما قدم في يوم منه، فكذلك أخبر الله تعالى أن القمر في السموات، وإن كان في واحدة منهن.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ أي: إلى موضع قرارها فيه، والمعنى: إنها تجري إلى أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع فلا تجاوزه، وذلك أنها لا تزال تتقدم كل ليلة حتى تنتهي إلى أبعد منازلها، ثمۚ ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾[لنقصانه] بعد تمامه واستوائه ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ﴾ وهو العذق من النخلة ﴿ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ اليابس، يعني: في انحنائه وتقويسه ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾ أي: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر فيذهب ضوءها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهارًا، ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ أي: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلًا: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾يعني: الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون.

*****

[أطفال الأنبياء والمؤمنين]

فصل: ومن قولهم: إن أطفال الأنبياء وجميع المؤمنين في الجنة.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ يعني: الكبار الذين بلغوا التكليف: ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ يعني: الصغار الذين لم يبلغوا التكليف. قال ابن عباس، والضحاك وغيرهما. وقال تعالى: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

قال علي رضي الله عنه: هم أطفال المسلمين.

ويدل على صحة ذلك سؤالهم المجرمين عن ﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾ لأن كل من دخل الجنة ممن بلغ حد التكليف، ولزمه فرض الأمر والنهي قد علم أن أحدًا لا يعاقب إلا على المعصية.

77

[الحكم في أطفال غير المؤمنين]

فصل: فأما أطفال المشركين: فاختلفت الآثار فيهم. فجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه أنس عنه: (أنهم خدم أهل الجنة). وعن أنس أيضًا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عفي لي عن أطفال المسلمين، وجعل أطفال المشركين خدمًا لأهل الجنة).

وجاء عنه أنه قال: (النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والوأد في الجنة).

وجاء عنه: أنه سئل عن امرأة وأدت في الجاهلية وماتت فقال: (هي وما وأدت في النار). وجاء عنه أنه قال: (هم مع آبائهم).

وجاء عنه أنه قال: (وأربعة يحتجون يوم القيامة، رجل أصم أبكم، ورجل هلك في الفترة، ورجل معتوه، والمولود. فيقول الأصم: يا رب لقد جاء الإسلامي والصبيان يلعبون بي.

ويقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول، ثم تلا: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ إلى آخر الآية. ويقول المعتوه: لم تجعل لي عقلًا. ويقول الطفل: يا رب لم أدرك العقل. فيقول الله: إني آمركم بأمر أفتطيعوني؟ فيقولون: نعم وعزتك يا رب. فيقول: اذهبوا فادخلوا النار. قال: ولو دخلوها ما ضرتهم، فيذهبون ثم يرجعون، فيؤمرون إلى الثالثة. فيقول الرب سبحانه: قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون، وعلى علمي خلقتكم، وإلى علمي تصيرون: ضميهم، فتأخذهم النار.

وجاء: أن هؤلاء تؤجج لهم نار فيقال لهم: اقتحموها فمن اقتحمها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن أبى وجبت عليه الحجة).

وقال بعض العلماء: منهم شقي وسعيد، وهم في مشيئة الله عز وجل يفعل فيهم ما يشاء.

واحتج من قال إنهم في النار مع آبائهم بقوله تعالى إخبارًا عن نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الآية.

والقول الأول أصح إسنادًا وأولى.

وقد احتج بعض العلماء بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه).

والفطرة: هي الإسلام، بدليل قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

وقيل: (الفطرة) العهد والميثاق الذي أخذ عليهم حين فطروا.

ومعنى قوله: (يهودانه وينصرانه) أي: يحكمان له بحكمهما. وقيل: يدعوانه إلى ما هما عليه من اليهودية والنصرانية. وقيل: يعلمانه ذلك، ويربيانه عليه.

وقال آخرون: ليسوا مع آبائهم؟ لأنهم ماتوا على الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، ولم ينقضوه، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ الآية.

واستدل آخرون على أنهم في الجنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [قال: فكيف تعذب أطفال المشركين وهم لا ذنب لهم؟ تعالى الله أن يفعل ما ذم من أفعال الآدميين، واحتجوا أيضًا بما رواه عكرمة عن ابن عباس أنه قال: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾].

*****

[الإيمان بالجن وأحكامهم]

فصل: ومن قولهم: إن الجن موجودون، وباقون إلى يوم الحشر، وأن منهم المؤمن، والكافر، وأن مؤمنيهم يدخلون الجنة، وكافريهم يدخلون النار، وحكمهم في ذلك حكم الإنس، وأنهم مكلفون، ومأمورون، ومنهيون، وأنهم أجسام مؤلفة، وأشخاص وجثث، وأنهم يرون [على] ما هم عليه من التمثل، والتخيل، والتصور الذي ينقلهم الله إليه دون أن يقدروا، وأن بعضهم يرى بعضًا على حقائق ما هم عليه، وأن الشياطين منهم: وهم المردة، يسلكون الإنسان ويصرعونه، ويكون منهم مس له، وأن جميعهم في الدنيا يأكل، ويشرب، وينعم، ويألم، ويتناكح كالإنسان سواء. صحت بذلك الأخبار، وثبتت به الآثار، وجاءت به نصوص القرآن.

80

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾، وقال مخبرًا عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ وقال عنهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ الآية.

وقال إخبارًا عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ الآية.

فلما كانوا داخلين في الوعيد مع الإنس بظاهر النص، صح أيضًا أنهم داخلون في [الوعد] معهم، من حيث كانوا مكلفين.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾، وقال مجاهد: لمحاسبون. يعني: الجن.

وقال عز وجل في سورة الرحمن: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾، ثم قال بعد ذلك: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾، [ثم قال: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يعني: مجرمي الجن والإنس]، ثم قال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾؛ والطمث: الوطء بالتدمية.

قال بعض العلماء: هذا يدل على أن للمؤمنين من الجن أزواجًا من الحور. وقال أرطأة بن المنذر: سألت ضمرة بن حبيب: هل للجن من ثواب؟ قال: نعم. ثم نزع بهذه الآية ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾ فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن.

وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ يعني: إبليس. وقال: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ الآية، وقال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾، فدل على أنهم مكلفون، ومنذرون.

قال مجاهد: الرسل من الإنس، والنذر من الجن.

وقال صلى الله عليه وسلم: (بعثت إلى الأسود والأحمر)، قيل يعني: الإنس والجن.

وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ﴾. وقال صلى الله عليه وسلم: (الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)، ونهى عن الأكل والشرب بالشمال قال: (لأن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله).

وحدثنا محمد بن أشعث الأموي، أن [مسلمة] بن القاسم حدثهم قال: أحمد بن سالم قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: مؤمنوا الجن في صحاري الجنة، وأطرافها كما هم في الدنيا في صحاريها وأطرافها، فيرونهم أهل الجنة، ولا يرون هم أهل الجنة.

*****

[السحر كائن موجود]

فصل: ومن قولهم: إن السحر حق، وهو إيهام وتخييل على ما أخبر به تعالى عن السحرة في قوله: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾، وقال مخبرًا عنهم: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾.

وقال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ إلى قوله: (إلا بإذن الله) فهذا نص منه تعالى على إثبات السحر، وأن علمه يفرق بين المرء وزوجه، وأنه ضار للمسحور، غير أنه لا يضر أحدًا إلا بإذن الله، أي: بحكم الله وقضائه، وقدره، وفعله تعالى: الضرر عند فعل الساحر.

وقال صلى الله عليه وسلم: (السحر حق) يريد: أنه كائن موجود لا أنه صواب وحسن.

*****

[الأخذ بأخبار الآحاد في أحكام الشريعة]

فصل: ومن قولهم: إن من تمام السنة وكمالها قبول خبر الواحد، والاستمساك به، والعمل بموجبه من الصحابة من الرجال، والنساء، إذا حدث به الثقة المعروف عن مثله إلى أن يتصل الإسناد بالصحابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك إذا لم يعارضه خبر مثله، ولا نسخه أثر، ولا اتفق الجميع على ترك استعماله.

قال الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾، فدل هذا على أن العدل لا تثبت في خبره، إذ لو كان الفاسق والعدل سواء، لم يكن لتخصيص الفاسق بالذكر فائدة.

83

وقد عملت الصحابة في القبلة بخبر الواحد، وتحريم المسكر وغير ذلك، وكذلك من بعدهم من التابعين والخالفين.

*****

[حجة الله على عباده ببعث الرسل وإنزال الكتب]

فصل: ومن قولهم: إن الله سبحانه قد احتج على عباده برسله، والسفراء بينه وبين خلقه، وقطع عذر العباد في الدلالة على صدقهم بما آتاهم من الآيات، وقاهر المعجزات، وتتابع الرسل، وأنزل عليهم الكتاب، وشرع الشرائع، وفرض الفرائض.

*****

[ختم النبوة والرسالة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم]

وختم النبوة برسالة محمد أمينه وصفيه، خاتم النبيين كما قال عز وجل: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾، وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا ١٥﴾، وقال: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا نبي بعدي)، فجعله تبارك وتعالى آخر المرسلين، وفضله على العالمين، وجعل كتابه ودينه مهيمنًا على جميع الكتب، والأديان، وأمته خير الأمم، كما قال جل ثناؤه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: (وجعلت أمتي خير الأمم).

وخير القرون قرنه الذي بعث فيهم، وأفضل أمته الذين شاهدوه، وصدقوه، ونصروه، وأخذوا عنه، وتلقوا الخطاب منه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما قال صلى الله عليه وسلم في أصحابه: (لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه).

*****

[عدالة الصحابة والإمساك عما شجر بينهم]

فصل: ومن قولهم: أن يحسن القول في السادات الكرام، أصحاب محمد عليه السلام، وأن تذكر فضائلهم، وتنشر محاسنهم، ويمسك عما سوى ذلك مما شجر بينهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا) يعني: إذا ذكروا بغير الجميل، ولقوله: (الله الله في أصحابي)، ويجب أن يلتمس لهم أحسن المخارج، وأجمل المذاهب، لمكانهم من الإسلام، وموضعهم من الدين والإيمان، وأنهم أهل الرأي والاجتهاد، وأنصح الناس للعباد، وهم ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾، وقد شهد لهم بالجنة في غير موضع من كتابه فقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ إلى قوله: (العظيم) رحمة الله عليهم أجمعين.

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (**تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم**) يريد القائم الذي أداه اجتهاده إلى القعود فقام، وقد قال صلى الله عليه وسلم وهم بالحضرة: (**ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تردوا على الحوض**).

[التفضيل بين الصحابة رضي الله عنهم]

فصل: ومن قولهم: إن أفضل الصحابة رضوان الله عليهم: المهاجرون معه، والذابون عنه كما قال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ الآية.

ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان، وقال عز وجل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الآية.

وأفضل المهاجرين: العشرة الموعدون للجنة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة والزبير، وسعد وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة ابن الجراح.

وأفضل هؤلاء العشرة الأئمة الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي رضوان الله عليهم.

وأفضل الأربعة: أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان ثم علي رحمة الله عليهم أجمعين.

*****

[أحكام الإمامة]

فصل: ومن قولهم: إن الإمامة في قريش مقصورة عليهم دون غيرهم من سائر العرب، والعجم، لقوله صلى الله عليه وسلم: (**الأئمة من قريش**). (**ولا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان**). ولإجماع المسلمين بعده صلى الله عليه وسلم على أن ولوا قريشًا.

وإقامة الإمام مع القدرة والإمكان: فرض على الأمة لا يسعهم جهله، والتخلف عنه، وإقامته إلى أهل الحل والعقد من الأمة دون النص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض إقامته من فروض الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين كفرض الجهاد، والصلاة على الجنائز، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجمع القرآن، ونحو ذلك، وواجب الانقياد للأئمة، والسمع والطاعة لهم في العسر، واليسر، والمنشط، والمكره، وإعظامهم، وتوقيرهم، وكذا طاعة خلفائهم، والنائبين عنهم من الأمراء، والقضاة، والحكام، والعمال، والسعاة، وجباة الخراج، والأموال، وسائر من استخلفوه في شيء مما إليهم النظر فيه، ولا يجب الخروج عليه، والمشاقة لهم، وذا مجمع عليه في الإمام العادل المستقيم.

فأما العادل عن ذلك منهم بظلم وجور، وتعطيل حد، وإصابة ذنب فإنه يجب وعظُه وإذكارُه بالله تعالى، ودعاؤه إلى طاعته، ومراجعته في إقامة الحق، وبسط العدل والقسط، ويلزم ترك طاعته فيما هو عاص فيه من ظلم، وجور، وعصيان، وبدعة، ولا يجب بهذه الأمور خلعه، ولا الخروج عليه.

والطاعة لبرهم وفاجرهم لازمة في ثمانية أشياء وهي: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والمكيال، والميزان، والأحكام، فمن نازعهم فيها من غيرهم، وادعى الإمامة فقتاله واجب، ومشاقته لازمة، ولا تجوز الصلاة خلفه، ولا أداء الزكاة إليه، ولا الحج، ولا الجهاد معه ولا يجوز

إنكاحه ولا إحكامه، بل كل ذلك مفسوخ مردود، وإن عدل فيه، ولا يقبل الله صرفه ولا عدله، ولا ممن أعانه على ذلك، وهذا متفق عليه.

*****

[علامات الساعة]

فصل: ومن قولهم: إن الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك: خروج الكذاب الأعور الدجال، وفتنته، وأن له جنة ونارًا، فجنته نار، وناره جنة، وأن عيسى عليه السلام يقتله فيهلك ومن معه من أهل الكفر والضلال.

88

[نزول عيسى عليه السلام]

فصل: ومنه: نزول عيسى عليه السلام، وكسره الصليب، وقتله الخنزير، والدجال، وتقع الأمنة في الأرض، وتكون الدعوة لله رب العالمين.

وقال عز من قائل: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ ﴾ يعني: قبل موت عيسى عليه السلام إذا نزل، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾، يعني: عيسى عليه السلام.

[يأجوج ومأجوج]

فصل: ومنه: خروج يأجوج ومأجوج، وهما ذرء جهنم، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ فيخرجون [فينشغون] المياه

وتتحصن الناس منهم، ثم يبعث الله عليهم النغف، وهي: دود في أقفائهم، فيقتلهم بها، فتنتن الأرض من جيافهم.

[خروج الدابة]

فصل: ومنه: خروج الدابة، تخرج من الصفا بمكة، وتكلم الناس بلسان عربي مبين، قال عز من قائل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: وجب الغضب عليهم: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الآية. وقال ابن عباس: هي دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم، تخرج من بعض أودية تهامة.

[طلوع الشمس من مغربها]

فصل: ومنه: طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت أغلق باب التوبة. قال عز من قائل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ الآية.

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا [أجمعون] وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**)

[خروج النار]

فصل: ومنه: خروج النار من أرض الحجاز، فتسوق الناس إلى محشرهم قبل يوم القيامة على ما صح الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخبرنا أحمد بن فراس المكي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد، قال: حدثني جدي، قال: حدثني سفيان بن عيينة، عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة فقال: (**ماذا تذكرون**)؟. قلنا: نتذاكر الساعة. قال: (**فإنها لا تقوم حتى يكون قبلها عشر آيات: الدجال، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من أرض اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**).

قال محمد: وحدثنا به سفيان مرة أخرى فقال سفيان: لا أدري بأيها بدأ.

*****

[جامع في الديانة والفقه وأصوله]

فصل: والأعمال كلها بالنية لقوله صلى الله عليه وسلم: (**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**). فمن فعل شيئًا مما أمر به أو نهي عنه غير مختار لفعله، ولا مريد له، ولا قاصد: فأدى به الفرض لم يجزه، وكان حكمه كحكم من لم يفعل شيئًا، ومن نوى طاعة أو خيرا: فله أجر، فإن عملها كانت له عشرًا، ويضاعف الله لمن يشاء، ومن نوى معصية من أعمال الجوارح مثل شرب، أو زنى، أو سرقة، أو شبه ذلك مما يفعل بالجوارح، ولم يعملها لم تكتب له، فإن عملها كتبت عليه واحدة.

قال الله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ الآية، وهذه الآية للمؤمنين. والسيئة فيها الأعمال السيئة إلا الشرك، ومن نوى معصية من أعمال القلب التي لا تعمل بالجوارح مثل الشرك أو اعتقاد بدعة، أو حل عقد من عقود الإيمان المتقدم ذكرها كتب عليه، لأنه ليس بعمل جارحة غير القلب.

قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ ﴾.

ومن ترك الصلاة، أو الزكاة، أو الصيام، أو ما افترض عليه مما أقر بفرضه فتركه بعد الإقرار جاحدًا له فهو كافر، وإن أقـرَّ بفرضه وامتنع من فعله أخذ بذلك حتى يفعله، فإن امتنع حورب عليه، وإن أقر بفرضه، وذكر أنه قد فعله دين في ذلك، وكان الله حسيبه.

والأشياء قبل الشريعة لا يقال لها: محللة، ولا محرمة، ولا مباحة، إذ لا حلال إلا من محلل، ولا حرام إلا من محرم، ولا مباح إلا من مبيح، ولكنها مسكوت عنها، وما سكت عنه فلنا فعله، ما لم يحرم. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ

يُـنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيـمٌ ﴿١٠١﴾ الآية. فزجر عن المسألة عن تحريم ما لم يرد النص بتحريمه، وأكد ذلك بالمنع من المسألة عنه خوف تحريمه.

والقلم مرفوع عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المغلوب حتى يعقل؛ والخطأ والنسيان، وما هم به العبد ولم يعمله موضوع، إلا في حال أوجبه كتاب أو سنة، أو إجماع.

ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا نذر فيها، ولا شرط، وإنما الطاعة في المعروف لقوله صلى الله عليه وسلم: (**لا طاعة لأحد في معصية الله الخالق**). وقوله: (**إنما الطاعة في المعروف**).

ومن رد حرفًا من كتاب الله تعالى بعد علمه به، أو جحده، أو رد شيئًا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن صح عنده، فخالف عنادًا فهو كافر.

وكتاب الله تعالى هو القرآن المرسوم في المصحف، المجمع عليه، الذي جمعه عثمان رحمه الله، واتفقت عليه الأمة، وهو مائة سورة، وأربع عشرة سورة، فمن زاد فيه أو نقص، أو تكلم في تغيير شيء منه: فهو ضال، مضل، كافر، مبطل.

والأخبار من الله تعالى، ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لا [تنسخ].

والقرآن ينسخ بعضه بعضًا في باب الأمر والنهي دون الأخبار، والسنة تبين القرآن، ولا تنسخه، والقرآن قد ينسخ السنة في مواضع، والسنة ينسخ بعضها بعضًا.

والكتاب والسنة على ظاهرهما، وعمومها إلا ما خصه الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان أو خبر، أو فسر مشكلة، أو أعلم بمنسوخه، أو وقف على ناسخه، أو قام الدليل على ذلك من سنة

أو إجماع، فإذا أعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، أو علم من إحدى هذه الجهات التي تقوم بها الحجة، لم يرد عام منه إلى خاص، ولا خاص منه إلى عام.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾، وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، وقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾، وقال: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ﴾، فإذا قضى الله أمرًا، أو قاله، أو أمر به قلنا: سمعنا وأطعنا، وإذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم شيئًا، أو أمر به، أو نهى عنه وجب أمره ونهيه، لقوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ قلنا: آمنا، واتبعنا الرسول، فإذا أجمع المسلمون على شيء فإجماعهم حجة، وهو الهدى الذي لا يجب أن يتبع غيره، لأنه سبيل المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ الآية.

وإذا اختلفوا وجب الرجوع إلى كتاب الله تعالى، كما أمرنا الله في قوله: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ يعني: تبيينه في كتابه، أو لسان نبيه، أو بإجماع المسلمين.

والإجماع حجة ولا يلحقه خطأ، ولا يحل به آفة، وهو ما لا جائز أن يكون فيه خلاف، ولا يصح أن يكون من طريق الرأي، والمخالف بعد حجة الإجماع شاذ، والشاذ: هو الذي يكون مع الجماعة، ثم يخالفها، ويشذ عنها.

وإذا اختلف قولان متضادان: بطل أحدهما، وصح الآخر.

والأشياء على إباحتها إلا ما حظره كتاب، أو سنة، أو إجماع.

وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم به واحدًا أو أكثر فهو أمر للجميع، إلا أن يخبر صلى الله عليه وسلم أنه له خاص، أو تتفق الأمة على ذلك.

وإذا تعارضت الأخبار، لم توجب عملًا، ووجب الوقوف، وتعارضها تنافيها، ومنع كل واحد من الخبرين العمل بصاحبه، وغير جائز إذا تعارضت، إلا أن تكون في وقتين، فإذا علم الوقت الآخر كان للأول ناسخًا، أو يكون في أحدهما بيان ينسخ الآخر، كقوله صلى الله عليه وسلم: (كنت نهيتكم عن لحوم الضحايا فكلوا وادخروا). أو كقوله: صلى الله عليه وسلم: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها).

وإن لم يعلم الأول من الآخر، ولا ناسخها من منسوخها، ولا كان في أحدهما، أو غيره ما يدل على ذلك فقد تعارضت.

وقال محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: إذا أمكن استعمالهما عمل بهما [وسواء] نقل الخبر واحد عدل، ونقل الآخر جماعة عدول، فإن الواحد يعارض الجماعة إذا كان ثقة غير مخطئ، إلا أن يتفق على خطئه، والحق في واحد لا يكون فيه، وفي ضده.

والتقليد غير واجب إلا لمن أمر، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا أجمعوا، فإذا أمر صلى الله عليه وسلم بشيء وجب علينا طاعته في أمره، ونهيه، وإذا فعل شيئًا فلم يأمر به، ولم ينه عنه، فلنا القدوة به، إلا ما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خاص له دون غيره، فإذا اجتمعت الصحابة وجب قبولهم، وإذا اختلفوا في حلال وحرام، فغير جائز الخروج عن أقاويلهم، ليس لأحد خلافهم، وله الاقتداء ببعضهم دون بعض.

وكل ما قاله الله تعالى، فعلى الحقيقة، لا على المجاز، إلا أن تتفق الأمة على أن شيئًا منه على المجاز كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ يريد أهلها.

فأما قوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ﴾ وشبه ذلك فعلى الحقيقة، لا على المجاز.

ولا تحمل صفات الله تعالى على العقول والمقاييس، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه، أو أجمعت الأمة عليه.

والدعوة من الله تعالى عامة حجة له، والمنة خاصة. قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ الآية.

والخلق عاجزون غير مستطيعين إلا شيئًا قدره الله تعالى.

والاستطاعة مع الفعل لا قبله، بدليل أنها سبب له، يوجد الفعل بوجودها، ويعدم بعدمها، والكل عاجزون عن طاعته إلا بتوفيقه، وغير قادرين على معصيته إلا بتقديره.

وطلب المكاسب على جهاتها حلال، مباح، واسع، قال عز من قائل: ﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾. وقال صلى الله عليه وسلم: (أجملوا في الطلب).

وأكل الحلال فريضة لقوله عز وجل: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ﴾، وتجنب الشبهات، واتقاؤها من كمال الورع، وفي ذلك السلامة من الحرام لقوله صلى الله عليه وسلم: (من اتقى الشبهات استبرأ [لدينه وعرضه]، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام).

والحلال موجود، غير معدوم، قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾، وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ الآية.

قال: التجارة رزق من رزق الله، وحلال من حلال الله تعالى، ولو كان الحلال معدومًا على ما يزعمه بعض المعتزلة؛ لصار الحرام مباحًا للضرورة إليه.

وكل شراب من عنب، أو زبيب، أو تمر، أو تين، أو عسل، أو حنطة أسكر كثيره فقليله حرام لقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن البتع –وهو شراب يصنع من العسل–: (كل شراب أسكر كثيره فهو حرام). وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ الآية.

والمسح على الخفين في السفر، والحضر سنة لازمة، لصحة الآثار بذلك، وجرى العمل به في كل عصر وأوان.

والإمساك في الفتنة سنة ماضية، ومن ابتلي بشيء منها فليقدم نفسه وماله دون دينه، ولا يعين فيها بيد، ولا لسان، ولا هوى، وليلزم جماعة المسلمين، وقتال الفئة الباغية –وهم الذين يخالفون الإمام العادل– واجب على المسلمين.

*****

[أهل الأهواء والبدع]

فصل: حدثنا سلمة بن [سعيد] الإمام، قال: نا محمد بن الحسين، قال: نا محمد ابن الليث الجوهري، قال: نا أبو هشام الرفاعي، قال: نا أبو بكر بن عياش، قال: نا أبو حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد عليه الصلاة والسلام، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة).

حدثنا سلمة بن سعيد، قال: نا محمد بن الحسين، قال: نا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: نا داود بن رشيد، قال: نا الوليد بن مسلم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر الكلاعي، عن العرباض بن سارية، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة).

97

حدثنا سلمة بن سعيد، قال: نا محمد بن الحسين، قال: نا الفريابي، قال: نا الحسن بن علي الحلواني، قال: سمعت مطرف بن عبد الله، يقول: سمعت مالك ابن أنس، يقول: -إذا ذكر عنده أبو حنيفة والزائغون في الدين[1]- يقول: قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله، وقوة على

1- لا توجد في روايات هذا الخبر الضعيف ذكر أبي حنيفة، سوى ما رواه أبي نعيم في الحلية. وما ثبت عن الإمام مالك من الثناء على أبي حنيفة، يمنع صحة هذه الأخبار، أو أن الإمام مالكًا قد رجع عن قوله هذا. وللمؤلف كذلك كلام في الإمام الأعظم أبي حنيفة في المنبهة أيضًا، وكل ذلك إنما جاء من عدم الاطلاع على مدارك فقه الإمام أبي حنيفة. وانظر إن شئت كتاب الإمام أبي عمر بن عبد البر، (الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء)، والله أعلم.

دين الله عز وجل، ليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن بدر القاضي، قال: نا الحسين بن محمد بن داود، قال: نا محمد بن هشام بن أبي خيرة، قال: نا المعتمر بن سليمان، قال: نا أبو سفيان سليمان المدني، عن [عبد الله] بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا يجمع الله أمتي –أو هذه الأمة– على ضلالة أبدًا، ويد الله على الجماعة، هكذا**[1]**، اتبعوا السواد الأعظم فإن من شذَّ شذَّ في النار**).

حدثنا محمد بن عبد الله المري، قال: نا وهب بن مسرةٍ، قال: نا محمد بن وضاح، قال: نا موسى بن معاوية، قال: نا ابن مهدي، قال: نا معاذ بن معاذ، عن عبد الله بن عون، أن محمد بن سيرين كان يرى أن هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾.

حدثنا سلمة بن سعيد، قال: نا محمد بن الحسين، قال: نا أبو علي الحسين بن عبد الله الخرقي، قال: نا أبو عمر الدوري، حفص بن عمر الضرير، قال: نا علي بن قدامة، عن المجاشع بن عمرو، عن ميسرة، عن عبد الكريم الجزري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾: فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والأهواء.

1 – كلمة (هكذا) لعلها من الناسخ، وهي كذلك موجودة في كتاب السنن الواردة في الفتن للمؤلف رحمه الله.

حدثنا محمد بن عيسى المالكي، قال: نا إسحاق بن إبراهيم، قال: نا محمد بن عمر بن لبابة، قال: نا محمد بن أحمد العتبي، عن سحنون، عن ابن القاسم، قال: قال مالك: ما آية في كتاب الله عز وجل أشد على أهل الأهواء من هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ قال مالك: فأي كلام أبين من هذا؟ قال ابن القاسم: وقال لي مالك: إنما هذه الآية لأهل القبلة.

حدثنا عبد الرحمن بن عفان القشيري، قال: نا أحمد بن ثابت، قال: نا سعيد بن عثمان، قال: نا نصر بن مرزوق، قال: نا علي بن معبد، قال: نا عبيد الله بن عمرو، عن أيوب، عن أبي قلابة، قال: ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف.

حدثنا أحمد بن إبراهيم المكي، قال: نا محمد بن إبراهيم، قال: نا سعيد ابن عبد الرحمن، قال: نا سفيان بن عيينة في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ قال: صاحب كل بدعة ذليل.

حدثنا محمد بن عبد الله، قال: حدثنا وهب بن مسرة، قال: نا ابن وضاح، قال: نا موسى بن معاوية، قال: ابن مهدي، قال: نا حماد بن زيد، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء قال: لأن يجاورني في داري هذه قردة وخنازير، أحب إلي من أن يجاورني رجل من أهل الأهواء، ولقد دخلوا في هذه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ الآية.

حدثنا عبد الرحمن بن عثمان القشيري، قال: نا قاسم بن أصبغ، قال: نا أبو بكر بن أبي خيثمة، قال: نا أحمد بن يونس، قال: نا شريك، عن أمي، عن الشعبي، قال: إنما سموا أصحاب الأهواء لأنهم يهوون في النار.

حدثنا عبد الرحمن بن عثمان، قال: نا قاسم بن أصبغ، قال: نا أحمد ابن زهير، قال: نا هارون بن معروف، قال: نا ضمرة، عن ابن شوذب، عن كثير أبي سهل قال: يقال أهل الأهواء لا حرمة لهم.

حدثنا ابن عفان، قال: نا قاسم، قال: نا أحمد بن خيثمة، قال: نا هدبة بن خالد، قال: نا حزم بن أبي حزم، قال: نا عاصم الأحول، قال: قتادة: يا أحول إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تذكر حتى تحذر.

حدثنا عبد الرحمن بن خالد، قال: نا علي بن محمد بن زيد، قال: نا محمد بن عبد الله بن سليمان، قال: نا أحمد بن كثير، قال: نا بقية بن الوليد، عن إبراهيم بن كثير صاحب الأوزاعي، قال: نا الوليد بن يزيد، قال: سمعت الحسن يقول: كل [صاحب] بدعة حروري.

حدثنا سلمة بن سعيد، قال: نا محمد بن الحسين، قال: نا الفريابي، قال: نا إبراهيم بن عثمان المصيصي، قال: نا مخلد بن الحسين، عن هشام بن حسان، عن الحسن قال: كل صاحب بدعة لا تقبل له صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا عمرة، ولا جهاد، ولا صرف، ولا عدل.

حدثنا محمد بن أبي محمد المري، نا إسحاق بن إبراهيم، قال: نا أسلم بن عبد العزيز قال: نا يونس بن عبد الأعلى، قال: نا ابن وهب، قال: سمعت مالكًا يقول: كان ذلك الرجل إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه.

حدثنا يوسف بن أيوب التجيبي، قال: نا الحسن بن [رشيق]، نا العباس بن محمد، قال: نا أبو عاصم، قال: نا الفريابي، قال: نا سفيان، عن زمعة بن صالح، عن عثمان بن حاضر، قال: قال ابن عباس كان يقال: عليك بالاستقامة والأثر، وإياك والتبدع.

حدثنا عبد الرحمن بن عفان، قال: نا قاسم بن أصبغ، نا أحمد بن زهير، قال: نا عبيد الله بن عمر، قال: نا أزهر، عن ابن [عون]، عن محمد قال: كانوا يرون أنهم على الطريق ما كانوا على الأثر.

حدثنا محمد بن أبي زمنين، قال: نا وهب بن مسرة، قال: نا ابن وضاح، قال: نا الصمادحي، قال: نا ابن مهدي، قال: نا [مبارك] بن فضالة، عن الحسن أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**عمل قليل في سنةٍ، خير من عمل كثير في بدعة**).

قال ابن مهدي: وحدثني منصور بن [سعد]، قال: سمعت الحسن يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من رغب عن سنتي فليس مني**).

101

حدثنا عبد الرحمن بن عثمان، قال: نا قاسم بن أصبغ، قال: نا أحمد بن زهير، قال: نا يعقوب بن كعب الأنطاكي، قال: نا الوليد بن مسلم، عن [مروان] بن سالم، قال: نا الأحوص بن حكيم، عن خالد بن معدان، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يكون في أمتي رجل يقال له غيلان هو أضر على أمتي من إبليس**).

حدثنا يوسف بن أيوب التجيبي، قال: نا الحسن بن رشيق، قال: نا العباس بن محمد، قال: نا أبو عاصم الفزاري، قال: نا الفريابي، قال: نا سفيان، عن عمر مولى [غفرة]، عن رجل من الأنصار، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشيعوا جنائزهم، هم [شيعة] الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال**).

حدثنا عبد الرحمن بن خالد، قال: نا يوسف بن يعقوب، قال: نا سهل ابن نوح، قال: نا الحسن بن عرفة، قال: نا الحسين بن خالد، عن عبد الصمد بن عبد الله، عن عمرو بن دينار، عن

طاووس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يا ابن عباس لعلك أن تبقى بعدي فتلقى قومًا يكذبون بقدر الله عز وجل، اشتقوا كلامهم ذلك من النصرانية، فإن رأيت أحدًا منهم فابرأ إلى الله تعالى منهم، فإني بريء منهم**).

قال: وكان ابن عباس رحمه الله إذا رأى أحدًا منهم رفع يديه، ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك منهم كما أمرني نبيك صلى الله عليه وسلم.

حدثنا محمد بن عيسى، قال: نا إسحاق بن إبراهيم، نا أسلم بن عبد العزيز، قال: [نا يونس بن عبد الأعلى]، قال: نا ابن وهب، قال: نا عمر بن محمد، عن أبيه، عن عبد الله بن [عمر]، وذكر الحرورية فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية**).

حدثنا عبد الرحمن بن عثمان، قال: نا قاسم بن أصبغ، قال: نا أحمد بن زهير، قال: نا أبي، قال: نا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن الأعمش، عن عبد الله ابن أبي أوفى قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**الخوارج هم كلاب النار**).

حدثنا سلمون بن داود، قال: نا حمزة بن محمد، قال: نا محمد بن عبد الرحمن بن موسى، قال: نا عمي، قال: نا يحيى، قال: نا فضيل بن مرزوق، عن أبي جناب الكلبي، عن أبي سليمان الهمداني، عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ألا أدلك على عمل إن عملته كنت من أهل الجنة؟ إنه سيكون بعدنا قوم ينتحلون حبنا، مارقة يكذبون علينا، وآية ذلك [أنهم] يسبون أبا بكر وعمر**).

حدثنا سلمة بن سعيد، قال: نا محمد بن الحسين، قال: نا أحمد بن يحيى، قال: نا سويد بن سعيد، قال: نا شهاب بن خراش، عن محمد بن زياد،

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ما بعث الله نبيًا قبلي فاستجمعت له أمة إلا كان فيهم مرجئة وقدرية يشوشون أمر أمته من بعده، ألا وإن الله تبارك وتعالى لعن المرجئة والقدرية على لسان سبعين نبيًا أنا آخرهم**).

حدثنا علي بن محمد الربعي، قال: نا عبد الله بن مسرور، قال: نا عيسى بن مسكين، قال: نا محمد بن عبد الله بن [سنجر]، قال: نا عمر بن حفص، قال: نا أبي، عن الحجاج، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما ضلت أمة قط إلا أعطوا الجدال**).

حدثنا ابن سلمة قال: نا محمد، قال: نا عبد الله بن محمد البغوي، قال: نا يعقوب بن إبراهيم، قال: سمعت علي بن الحسن بن شقيق يقول: سمعت ابن المبارك يقول: إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود، والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

حدثنا ابن سلمة، قال: نا محمد، قال: نا هارون بن يوسف، قال: نا الحسن بن عيسى بن ماسرجس، قال: سمعت ابن المبارك يقول: الجهمية كفار.

حدثنا ابن عفان، قال: نا قاسم، قال: نا أحمد بن أبي خيثمة، قال: نا إسماعيل بن أبي كريمة، قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: لعن الله جهمًا، ومن قال بقوله، كان كافرًا جاحدًا!

حدثنا ابن سلمة، قال: نا محمد، قال: نا أبو بكر بن أبي داود، قال: نا المسيب بن واضح، قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: أصول البدع أربعة الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تتشعب كل فرقة على ثماني عشرة طائفة، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون الجماعة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها الناجية.

حدثنا أبو محمد خلف بن أحمد، قال: نا عمر بن الموصل، قال: نا حيان ابن بشر القاضي، قال: نا علي بن محمد بن أبي المضاء القاضي، قال: نا خلف بن تميم، قال: نا عبد الله بن السري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: [قال] النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا ظهرت البدع، وشتم أصحابي، فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم حينئذ ككاتم ما أنزل الله**).

حدثنا محمد بن عبد الله، قال: نا وهب بن مسرة، قال: حدثنا ابن وضاح، عن أبي جعفر هارون بن سعيد الأيلي قال: قال مالك: ليس لمن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفيء حق.

حدثنا عبد الرحمن بن عثمان، قال: نا قاسم بن أصبغ، قال: نا أحمد بن زهير قال: نا صبيح بن عبد الله الفرغاني، قال: نا أبو إسحاق الفزاري، عن الأوزاعي قال: كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

*****

[الواجب على ولاة الأمور من الأمراء والعلماء]

فصل: ومن الواجب على السلاطين، وعلى العلماء إنكار البدع والضلالات، وإظهار [الحجج]، وبيان الدلائل من الكتاب والسنة، وحجة العقل، حتى يقطع عذرهم، وتبطل شبههم، وتمويهاتهم، ثم يؤخذون بالرجوع إلى الحق، وترك ما هم عليه من الباطل؛ فإن رجعوا وتركوا ذلك، وأظهروا التوبة منه، وإلا أذلهم السلطان، وعاقبهم بما يؤدي الاجتهاد إليه على قدر بدعهم، وضلالاتهم، ومن استحق منهم الاستتابة استتابه، ومن وجب عليه القتل بعد الاستتابة قتله؛ فإن اجتمعوا وقاتلوا على ذلك، ونصبوا حرفًا، وحموا دارًا حاربهم السلطان بالسيف، فما دونه إلى أن يرجعوا عن ذلك، ويتمكن منهم، ويجتهد في عقوبتهم عن الامتناع عن الحق، وكذا سبيل الباغي على الإمام بالحرابة وسوء التأويل، وإخافة السبيل، وكذا سبيل كل طائفة بغت على الأخرى وبالله التوفيق.

105

*****

قال أبو [عمرو]: فهذا ما لا يسع أحدًا جهله من الاعتقادات، وأصول الديانات، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

*****

تـمت الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

ليلة الاثنين سادسة المحرم سنة 1057 ببنان الحقير محمد الخزرجي البلباني الحنبلي عفي عنه.

*****

فهرس المحتويات

هذا الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فهذا مصنَّف جليل القدر، في علم أصول الدين، دبجته بنان إمام من أئمة الهدى والدين، من أعلام حفاظ القرآن ورواته، الإمام أبي عمرو الداني رحمه الله تعالى. سطر فيه بكلمات واضحات معتقد أهل السنة والجماعة، ملتزمًا ما قرره الأئمة الأعلام. وهو من المصنفات الجليلة إذ قد جمع أصول العقائد، بعبارة سهلة واضحة، يدركها الجميع، خلتْ عن غوامض العبارات، وكثير التدقيقات. ورغم كثرة المصنفات في علم العقائد وأصول الدين، إلا أن هذا الكتاب الذي بين يديك قد امتاز بمؤلِّفه إمام القراء، وبوضوح معتقده، فكان واسطة عقد بين السابق واللاحق، في حمل القرآن وحمل أصول الدين، فعن طريقه وصلت علوم القراءات، وبواسطته اتصلت أسانيد الأئمة القراء الحفاظ. فكانت ميزة عظيمة أن تتصل الأسانيد القرآنية بالأصول الدينية.

وهذا الكتاب قد طبع من طرف بعض الأيادي، التي شوهت ما فيه، بكثرة التحريفات في المعاني، حتى أخرجته عن صنعة مؤلفه، فكان لا بد من نشره كما كتبه مصنفه، أمَّا من شأنُه الاعتراض والانتقاد، فليصنف ما يشاء، بعيدًا عن العبث بكتب الأئمة الأعلام.

ومن الشرف الكبير، أن ننشر هذا الكتاب، فتتصل خدمة الدين بخدمة القرآن، ويرى الناس حلقات الدين متسلسلة متصلة.

رحم الله أبا عمرو الداني، من عالم بارك الله في أعماله، وجعله واسطة لعقد الدين في أعظم علومه.